الاِسْتِشْرَاقُ الْفَرَنْسِيُّ والسِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ لِكِتَابِ تَارِيخُ الْعَرَبِ الْعَامُّ

تأليف

د. سُلْطَانُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحُصَيِّنِ

١٤٣٦هـ

الاِسْتِشْرَاقُ الْفَرَنْسِيّ والسِّيرَةُ النَّبَوِيّةُ

دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ لِكِتَابِ تَارِيخُ الْعَرَبِ الْعَامُّ

تأليف

د. سُلْطَانُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحُصَيِّنِ

١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحصين، سلطان
الاستشراق الفرنسي والسيرة التبوية: دراسة نقدية لكتباب
تاريخ العرب العام
سلطان عمر الحصين - المدينة المنورة
١٤٣٦هـ
ص، ١٧×٢٤
ردمك/ ٥ -٨٩٧٥ -٠١ -٦٠٣ -٩٧٨
١ - التاريخ الإسلامي ٢ - الاستشراق والمستشرقون -فرنسا
٢ - السيرة النبوية أ. العنوان
ديوي ٩٥٣ ١٤٣٦/٨٠٣٩هـ

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٨٠٣٩
ردمك/ ٥ -٨٩٧٥ -٠١ -٦٠٣ -٩٧٨
الطبعة الأولى

الْمُحْتَوَيَاتُ

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ ٨
إِهْدَاءٌ ١٠
المقَدِّمَةُ: ١٢
الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ: ١٦
مَنْهَجُ الْبَحْثِ: ٢٠
تَمْهِيدٌ ٢٢
المبْحَثُ الأَوَّلُ: تَعْرِيفٌ بِالْمُسْتَشْرِقِ «سيديو» وَكِتَابِهِ تَارِيخُ الْعَرَبِ الْعَامُّ: . ٢٤
المطْلَبُ الأَوَّلُ: التَّعْرِيفُ بِالْمُسْتَشْرِقِ «سيديو» ٢٦
المطْلَبُ الثَّانِي: نُبْذَةٌ عَنْ كِتَابِ: تَارِيخُ الْعَرَبِ الْعَامُّ. ٢٨
المبْحَثُ الثَّانِي: الْمَوْقِفُ الاِسْتِشْرَاقِيُّ الْعَامُ مِنَ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ ٣٢
الْمَوْقِفُ الإِيجَابِيُّ: ٣٥
الْمَوْقِفُ السَّلْبِيُّ: ٣٧
المبْحَثُ الثَّالِثُ: مِنْ مَنَاهِجِ الْمُسْتَشْرِقِينَ فِي دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ ٤٢
المبْحَثُ الرَّابِعُ: مَدْرَسَةُ الاِسْتِشْرَاقِ الْفَرَنْسِيِّ ٤٨
الْفَصْلُ الأَوَّلُ: شَخْصِيَّةُ الرَّسُولِ ﷺ عِنْدَ «سيديو» (عَرْضٌ وَمُنَاقَشَةٌ).... ٦٤

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: شَخْصِيَّةُ الرَّسُولِ ﷺ وَحَيَاتُهُ الْخَاصَّةُ ٦٦

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: مُحَمدٌ ﷺ وَالسِّيَاسَةُ وَالزَّعَامَةُ ٧٦

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: عَلاَقَتُهُ ﷺ بِأَصْحَابِهِ ٨٤

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: عَلاَقَتُهُ ﷺ بِالْيَهُودِ ٩٢

الْفَصْلُ الثَّانِي: رُؤْيَةُ «سيديو» لِمَوْقِفِ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْعَقَائِدِ (عَرْضٌ وَمَناقَشَةٌ) ٩٨

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: تَأَثُّرُ النَّبِيِّ ﷺ -حَسَبَ زَعْمِهِ- بِالْمُعْتَقَدَاتِ الْقَدِيمَةِ كَالْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَعَادَاتِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهَا. ١٠٠

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: مَزَاعِمُهُ حَوْلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ..... ١١٠

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: زَعْمُهُ أَنَّ الإِسْلاَمَ مِن صُنْعِ مُحَمَّدٍ ﷺ ١١٨

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: رُؤْيَةُ «سيديو» لِمَوْقِفِ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ التَّشْرِيعِ الإِسْلاَمِيِّ (عَرْضٌ وَمُنَاقَشَةٌ) ١٢٤

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: مَوْقِفُهُ مِن مَفْهُومِ الْجِهَادِ وَأَسْبَابُهِ عِندَ الرَّسُولِ ﷺ.... ١٢٦

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: مَوْقِفُهُ مِن بَعْضِ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلاَتِ..... ١٣٦

أ – الصَّلاَةُ: ١٣٦

ب – تَحْرِيمُ الْخَمْرِ: ١٣٨

ج – عُقُوبَةُ السَّرِقَةِ: ١٤٠

الْفَصْلُ الرَّابِعُ: نَقْدُ مَنْهَجِ «سيديو» فِي دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ. ١٤٤
الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: نَقْدُ الدَّوَافِعِ وَالتَوَجُّهَاتِ وَخَلْفِيَّتِهِ الثَّقَافِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ ... ١٤٦
الْمَبْحَثُ الثَّانِي: نَقْدُ الْمَصَادِرِ ١٥٠
الْخَاتِمَةُ..... ١٥٦
أَهَمُّ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ ١٦٢
الْمَصَادِرُ الأَجْنَبِيَّةُ..... ١٧٣

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

أحمد الله وأشكره على عونه وتوفيقه، وأسأله سبحانه مزيد علم وتوفيق وسداد.

واعترافاً لأهل الفضل بفضلهم؛ فإني أتقدم بخالص شكري وتقديري لأساتذتي الكرام والذين تتلمذت عليهم في قسم الاستشراق بالمدينة المنورة د. حامد غنيم أبو سعيد، و أ. د. محمد خليفة حسن، و أ. د. محجوب كردي، و أ. د. عبد الله الرحيلي وغيرهم ممن لم تسعف الذاكرة ذكرهم[1].

سلطان بن عمر الحصين
المدينة النبوية
غرة رمضان ١٤٣٦هـ
Alhusayen10@gmail.com

(١) أصل هذا الكتاب رسالة علمية لمرحلة الماجستير من قسم الاستشراق بكلية الدعوة سابقاً، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٤١٣هـ، بتقدير ممتاز.

إِهْدَاءٌ

إليك يا سيدي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم وبارك؛ أهدي هذا الكتاب محبة لك وإجلالاً ودفاعاً عنك مما خطته أقلام شانئيك الغربيين من دنماركيين وفرنسيين وأمريكيين وبريطانيين وغيرهم كثير.

المُقَدِّمَةُ:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ {آل عمران: ١٠٢}.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ {النساء: ١}.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ {الأحزاب: ٧١}[1].

---

(١) هذه هي خطبة الحاجة، وقد أخرجها أبو داود في سننه: كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، رقم: (٢١١٨)، (٢٣٨/٢)، والترمذي في جامعه: كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، رقم: (١١٠٥)، (٤٠٤/٢)، والنسائي في سننه: كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، رقم: (٣٢٧٧)، (٨٩/٦)، وابن ماجه في سننه: كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، رقم: (١٨٩٢)، (٦٠٩/١)، وأجزاء منها في صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، رقم: (١٠١٧)، (٧٠٤/٢) وكتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: (٨٦٨)، (٥٩٣/٢).

في جانب الدراسات الاستشراقية نجد أن السيرة النبوية تأخذ حيزاً كبيراً من كتابات المستشرقين حول الإسلام، ونكاد لا نجد كتاباً عن الإسلام وتاريخه إلا وقد تناول شيئاً من سيرة النبي ﷺ وشخصيته.

بل إننا نجد أن معظم مترجمي القرآن من المستشرقين قدموا لتلك الترجمات بمقدمة عن السيرة النبوية العطرة، بل إن بعضهم كان هدفه من «ترجمة القرآن هو عرض الجانب الفلسفي والفكري، باعتبار هذا القطاع هامًّا في دراسة تاريخ الرسول ﷺ وتاريخ الفتوح الإسلامية»[١].

ولقد لاقت تلك الكتابات الاستشراقية عند المسلمين الإعجاب حيناً والنقد والرد أحايين كثيرة، وجاءت ردود المسلمين على أكابر المستشرقين أمثال كارل بروكلمان BROCKELMMANN[٢]

وجولدزيهر GOLDZIEHR[٣]

ومونتغمري وات MONTGOMERY WATT[٤]

---

(١) عبد المتعال محمد الجبري: السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص: (٥).

(٢) كارل بروكلمان: مستشرق ألماني (١٨٦٨-١٩٥٦) تخرج من قسم اللغات السامية على أعلام المستشرقين ومنهم نولدكم، وطارت له شهرة في فقه اللغة العربية وفي التاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب العربي. ومن آثاره: المعجم السرياني، علم اللغات السامية، تاريخ الشعوب الإسلامية. (نجيب العقيقي ٤٢٤/٢).

(٣) جولد زيهر: مستشرق مجري (١٨٥٠-١٩٢١) من كبار المستشرقين وأساتذتهم، تضلع من العربية على بعض مشايخ الأزهر، عضو فعال في العديد من المجامع العلمية ومؤتمرات المستشرقين، ترك أعمالا علمية كثيرة منها: العقيدة والشريعة في الإسلام. (العقيقي ٤٠/٣).

(٤) مونتغمري وات: مستشرق إنجليزي، عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبره، من آثاره: محمد في مكة، محمد في المدينة. (العقيقي : ١٣٢/٢).

ولويس ماسنيون LOUIS MASSINGNON [١]

ومارجليوث MARGOLIOUTH [٢] وغيرهم.

ولقد جاءت مواقف أولئك المستشرقين العامة تجاه السيرة النبوية متشابهة إلى حد ما، فكثير منهم يصفون كتاباتهم بالموضوعية والعلمية، ولكنهم يخرجون عن المنهج الذي رسموه لأنفسهم. فكثير منهم ينظر إلى شخصية الرسول ﷺ على أنها شخصية مبدعة ومجددة ومصلحة، ولكنهم لا يؤمنون به، ويسلبونه صفة النبوة وخاصية الرسالة والوحي.

وهناك بعض المستشرقين ممن شاركوا بكتاباتهم في السيرة النبوية ولكنهم لم يحظوا بذلك البريق من الشهرة، مع العلم أنهم قدموا أعمالاً لاقت رواجًا وانتشارًا لا تقل كثيرًا عن أعمال أولئك المستشرقين المشهورين، ومن بين هؤلاء المستشرقين: المستشرق الفرنسي «**سيديو**» أستاذ التاريخ في كلية سان لويس بدولة فرنسا، ويأتي كتابه: «**تاريخ العرب العام**» في مقدمة كتبه التي ذاع صيتها وتلقفتها أيدي الدارسين في كثير من الجامعات الغربية والشرقية.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

---

(١) لويس ماسنيون: من أشهر المستشرقين الفرنسيين (١٨٨٣-١٩٦٢م) عُني بدراسة التصوف وخاصة الحلاج الذي كان موضوع دراسته للدكتوراه، شارك في دائرة المعارف الإسلامية كما شارك في مؤتمري المستشرقين الخامس عشر والعشرين. (العقيقي ٢٦٣/١، بدوي ص: ٢٦٣).

(٢) مارجليوث: مستشرق إنجليزي (١٨٥٨-١٩٤٠) من أشهر أساتذة العربية من الغربيين، عضو المجمع العلمي في دمشق، والمجمع اللغوي البريطاني، من آثاره: محمد ونهضة الإسلام. (العقيقي ٧٠٧/٢).

١. انتشار كتاب: تاريخ العرب العام بين القراء والباحثين الغربيين والشرقيين، وتعدد ترجماته إلى اللغات الأجنبية، وعدم صدور دراسة مستقلة عن المستشرق **سيديو** أو عن كتابه: **تاريخ العرب العام** فيما يعلم الباحث.

٢. تباين وجهات النظر في الحكم على كتاب **تاريخ العرب العام** بين مادح وقادح، والحاجة إلى الحكم على تلك الآراء من المستشرق في ضوء موقف مؤلف الكتاب من الإسلام عامة، ومن السيرة النبوية على وجه الخصوص.

٣. أهمية السيرة النبوية في كتابات المستشرقين وتركيزهم عليها في أغلب دراساتهم.

٤. المساهمة في الدفاع عن سيرة الرسول الكريم ﷺ ضد شبهات ومطاعن المستشرقين.

٥. الكشف عن أحد المستشرقين الذين قدموا أعمالا في السيرة النبوية والتاريخ.

ومن المهم في هذه المقدمة الإشارة إلى بعض الدراسات السابقة التي تناولت الكتاب أو موضوعاته.

- **الدراسات السابقة:**

يمكن القول بأن الدراسات السابقة في هذا الموضوع تنقسم إلى قسمين:

فالأول: قد تطرق مباشرة إلى المستشرق «سيديو» وكتابه: **تاريخ العرب العام** وتناول بالتحديد بعض جوانب السيرةِ النبويةِ في هذا الكتاب.

والثاني: تطرق إلى جوانب من السيرة بحثها المستشرق «سيديو» في كتابه الذي بين أيدينا كما بحثها غيره من المستشرقين، فجاءت تلك الدراسات إما مكررة ومؤيدة لما ذكره «سيديو» أو ناقدة لآراء أولئك المستشرقين الذين وافقت مواقفهم من السيرة النبوية موقف المستشرق «سيديو».

ومن بين الدراسات التي تناولت الموضوع مباشرة: ما ذكره الأستاذ مصطفى حلبي في معرض حديثه عن المصادر الاستشراقية التي تعرضت للحديث عن الرسول ﷺ، حيث ذكر خمسة مصادر من بينها: كتاب "**تاريخ العرب العام**" للمستشرق «سيديو»، وفي حديثه عن شبهة تأثر النبي ﷺ بالنصرانية أورد أقوال بعض المستشرقين الذين يقولون بذلك ومن بينهم «سيديو» حيث قال: «وممن أثار هذه الشبهة المستشرق «سيديو» في قوله: «وكان أول سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب فبلغ بصري فاجتمع ببحيرى الذي كان اسمه لدى النصارى جرجيس أو سرجيس فنال حظوة عنده»[(١)]. وقد

(١) مصطفى عمر حلبي: الخلفية الثقافية لاتجاهات المستشرقين في دراسة شخصية الرسول ﷺ، رسالة البحث المكمل للماجستير قسم الاستشراق، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٩هـ، ص: (٢٦-٢٨).

رد على هذه الفرية إلا أن هناك الكثير من الشبهات غيرها لم يبحثها، وهذا راجع إلى أن بحثه لم يكن مقتصراً على «سيديو» بل يشمل عامة من كَتَبَ في السيرة من المستشرقين.

ويتطرق الجبري إلى إحدى مزاعم «سيديو» المتعلقة بعقوبة القصاص فيقول: «تحدث سيديو عن الإسلام ونصيب الأخلاق في تعاليمه، فذكر دعوة النبي ﷺ للأخلاق، ثم قال – أي سيديو–: بيد أنك لا تجد في القرآن ما في الإنجيل من التسليم الذي يفيد كثيراً عند الشدائد، فترى محمدًا يأذن بين كثير من التناقضات في مقابلة السيئة بالسيئة، كأن الناس لم يكونوا مستعدين لهذا من قبل ... ومحمد حين يقول بمبدأ القصاص الذي رضي عنه اليهود –مع ذلك– يكون قد ساير أحكام زمانه وقومه»[(١)]، ويكتفي عبد المتعال الجبري بالرد على هذه الشبهة ولا يتعدى إلى غيرها.

وعنون دياب للفصل الثاني عشر من كتابه: أضواء على الاستشراق والمستشرقين بعنوان: «بعض المستشرقين المتعصبين» وذكر من بينهم المستشرق «سيديو» وكتابه: **تاريخ العرب العام** حيث قال عنه: «إن الكاتب سلك مسلك التمويه، فأشاد بالإسلام في مقدمة كتابه وحشى بداخله الكثير من الافتراءات على الإسلام ونبي الإسلام»، ويقول أيضا: «يريد سيديو أن يجعل

(١) عبد المتعال محمد الجبري: السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص: (١٠٣).

الإسلام من وضع محمد، وقد وضعه بصفته زعيماً سياسيًّا استخدم الدين وسيلة لتحقيق برنامجه السياسي»[١].

ومما يؤخذ على دياب في معالجته لمنهج «سيديو» في تناوله للسيرة أنه يعرض الشبهة ويكتفي بنفيها دون تقديم أدلة علمية تدحض شبهات المستشرق المثارة.

ومن الدراسات السابقة أيضا بعض التعليقات التي أثبتها زعيتر مترجم الكتاب، ولكن هذه التعليقات جاءت موجزة ومختصرة جدًّا، وأهملت الكثير من المواطن التي يجدر التعقيب عليها.

وقد عُرِضَتْ ترجمة زعيتر على مجمع البحوث الإسلامية فذيل تعقيباً في آخر الكتاب في حدود ثمان صفحات نقداً للكتاب كاملاً، وقد اشتمل ذلك النقد على بعض موضوعات السيرة النبوية، ولكنها كذلك روعي فيها الإيجاز والاختصار.

وقد أشار المجمع إلى ذلك بقوله: «تلك هي زلات سيديو وهذا تعقيبنا عليها آثرنا فيها الإيجاز المناسب للمقام، وللمستزيد الكتب المطولة التي تصدى فيها الأجلاء من علماء المسلمين لتفنيد هذه الشبهات وأمثالها»[٢].

ويلاحظ في هذه الدراسات السابقة أنها لم تقدم نقداً شاملاً لجوانب السيرة النبوية في كتاب سيديو **تاريخ العرب العام** أو لأفكار المستشرق عامة، حيث إنها اكتفت ببعض التعليقات النقدية البسيطة، أما الدراسات السابقة

---

(١) محمد أحمد دياب: أضواء على الاستشراق والمستشرقين، ص: (١٧٦-١٧٧).

(٢) سيديو، تاريخ العرب العام، ط٢، ترجمة عادل زعيتر ص: (٤٧٤).

الأخرى فهي أيضاً لم تقدم نقداً شاملاً لأنها أعمالٌ لم تعالج المستشرق معالجة خاصة ولكن أشارت إليه ضمن مستشرقين آخرين، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى دراسة مستقلة عن المستشرق وكتابه، من أجل الوصول إلى معرفة شاملة لآرائه في السيرة النبوية تمكن من الحكم العلمي الموضوعي على هذه الآراء.

أما القسم الآخر من الدراسات السابقة فهي عبارة عن ردود هنا وهناك على بعض المستشرقين والذين تناولوا جوانب من السيرة النبوية كما تناولها سيديو في كتابه، فكانت تلك الدراسات ردًّا على أولئك المستشرقين وليس على سيديو، ومن بين تلك الدراسات ما يلي:

١. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين – نذير حمدان[١].

٢. المستشرقون الناطقون بالإنجليزية – د. عبد اللطيف الطيباوي[٢].

٣. المستشرقون والسيرة النبوية – د. عماد الدين خليل[٣].

٤. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- محمود حمدي زقزوق[٤].

٥. سيرة الرسول في تصورات الغربيين – جوستاف بفانمولر- ترجمة: محمود حمدي زقزوق[١].

---

(١) نذير حمدان: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين (مكة –رابطة العالم الإسلامي– ١٤٠١هـ).

(٢) عبد اللطيف الطيباوي: المستشرقون الناطقون بالإنجليزية (الرياض- طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – ١٤١١هـ).

(٣) عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية (الدوحة – دار الثقافة – ١٤١٠ هـ).

(٤) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ط٢ (بيروت مؤسسة الرسالة ١٤٠٥) (كتاب الأمة) .

- **منهج البحث:**

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو منهج الاسترداد التاريخي الذي يقوم على استرداد الماضي، وما خلفه من آثار، والمنهج الوصفي التحليلي كمكمل لمنهج الاسترداد التاريخي، وهو منهج يهتم بإعطاء أوصاف دقيقة للظواهر الحادثة أمامه حتى يتسنى له حل المشكلات[٢]، كما أن للبحث العلمي أدوات ستكون محل عناية حسب متطلبات أجزاء هذه الدراسة.

ويتلخص منهج البحث فيما يلي:

١. عرض آراء المستشرق «سيديو» في مجال السيرة عرضًا موضوعيا يُعتمد فيه على كتاب **تاريخ العرب العام**.
٢. مناقشة آراء المستشرق التي تم عرضها في ضوء الرؤية الإسلامية للفترة المدروسة، وفي ضوء المصادر الإسلامية ونقد هذه الآراء نقدًا علميًّا.
٣. تتبع الترتيب الزمني للأحداث التي تتم مناقشتها، وكذلك الأحداث التاريخية والنظر في سلامة منهجه في ذلك، وكذلك نقد التفسير المادي للأحداث عنده، كما تشمل أيضا المصادر التاريخية التي اعتمد عليها.

---

(١) جوستاف بفانمولر: سيرة الرسول ﷺ في تصورات الغربيين ترجمة: محمود حمدي زقزوق (البحرين – مكتبة ابن تيمية ١٤٠٦هـ).

(٢) أسس ومناهج البحث ص: (١٨)، والبحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتابته، وطباعته، ومناقشته: عبد العزيز الربيعة، (١/١٧٨-١٧٩).

٤. الرجوع إلى المصادر الإسلامية الصحيحة مع التركيز على مصادر السيرة النبوية، والرجوع إلى بعض كتابات المستشرقين وردودهم على بعضهم لتدعيم المناقشة والنقد.

مما سبق أحسب أن دراسةَ هذا الموضوع مسألة جديرة بالاهتمام، وهذا ما سيحاول الباحث القيام به، سائلاً المولى تبارك وتعالى التوفيق والعون.

تَمْهِيـــدٌ

وَفِيهِ ثَلاثَةُ مَبَاحِث:

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: تَعرِيفٌ بِالْمُسْتَشْرِقِ «سيديو» وَكِتَابِهِ: تَارِيخُ الْعَرَبِ الْعَامِ.

المَبْحَثُ الثَّانِي: الْمَوْقِفُ الاِسْتِشْرَاقِيُّ الْعَامُ مِنَ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: مِنْ مَنَاهِجِ الْمُسْتَشْرِقِينَ فِي دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ: مَدْرَسَةُ الاِسْتِشْرَاقِ الْفَرَنْسِيِّ.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ:

تَعْرِيفٌ بِالْمُسْتَشْرِقِ «سيديو» وَكِتَابِهِ تَارِيخُ الْعَرَبِ الْعَامُّ:

وَفِيهِ مَطْلَبَانِ:

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: التَّعْرِيفُ بِالْمُسْتَشْرِقِ «سيديو».

المَطْلَبُ الثَّانِي: نُبْذَةٌ عَنْ كِتَابِ: تَارِيخُ الْعَرَبِ الْعَامُّ.

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: التَّعْرِيفُ بِالْمُسْتَشْرِقِ «سيديو»

«ل.أ. سيديو» LOUIS AMELIE SEDILLOT مستشرق فرنسي ولد في باريس في ٢٣ يونيو ١٨٠٨م، / ٢٩ ربع الثاني ١٢٢٣هـ، وتوفي ١٨٧٥م / ١٢٩٢هـ، وقيل سنة ١٨٧٦م / ١٢٩٣هـ[١]، وهو الابن الثاني لجان جاك أمانويل سيديو الذي كان مستشرقًا وفلكيًّا، تعلم على يدي أبيه اللغات الشرقية والرياضيات، ثم دخل مدرسة ليسيه الرابع الثانوية، ثم حصل على الليسانس في الحقوق من جامعة باريس ودخل مسابقة التعيين في وظيفة مدرس تاريخ في المدارس الثانوية وعين في باريس ١٨٣١م / ١٢٤٦هـ.

وحضر محاضرات المستشرق الفرنسي سيلفستر دي ساسي SILVESTRE DE SACY[٢] في كلية فرنسا «كوليج دي فرانس» ثم صار سكرتيراً له.

قام بمتابعة أبحاث أبيه في ميدان تاريخ الفلك والرياضيات عند الشرقيين، فأصدر بحثاً في الآلات الفلكية عند العرب، ثم قام بنشر أبحاثه في تاريخ الرياضيات والفلك والجغرافيا عند العرب، وكان ينشر ثمارها إما في مجموعة: (NOTICES ET EXTRAILS) التي تصدرها أكاديمية النقوش والآداب، أو في

---

(١) نجيب العقيقي : المستشرقون، (١٦٩/١)، وعبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين.

(٢) سلفستر دي ساسي: مستشرق فرنسي شهير (١٧٥٨–١٨٣٨) اهتم باللغات السامية واللغة العربية. كان مديرا لكلية فرنسا ومدرسة اللغات الشرقية، من كتبه: النحو العربي، تحقيق مقامات الحرير. (العقيقي: ١٦٢/١، بدوي: ص: ٢٢٦).

المجلة الآسيوية (JA) أو غيرهما، وكلها تهدف إلى بيان ما قام به العرب من أبحاث أصيلة في الرياضيات والفلك والجغرافيا.

إنتاجه العلمي:

قام «سيديو» بتأليف عدد من المؤلفات في مجالات الرياضيات والفلك والتاريخ، وفيما يلي قائمة بأهم أبحاثه ومؤلفاته:

١. أبحاث جديدة في تاريخ العلوم الرياضية عند الشرقيين (دراسة لعدد كبير من الرسائل التي تؤلف المخطوط رقم ١١٠٤ في المكتبة الوطنية بباريس سنة ١٨٣٧م / ١٢٥٢هـ).

٢. مقدمة لوحات «أولج بك» الفلكية: النص والترجمة والشرح في مجلدين.

٣. رسالة إلى السيد «فون هممبولت» عن أعمال المدرسة العربية سنة ١٨٥٣م / ١٢٦٩هـ.

٤. تاريخ العرب العام، باريس ١٨٥٤م / ١٢٧٠هـ.

٥. متن في التقويم العالمي، ويتضمن بحثاً في التقويم العربي ط٦، ١٨٦٥م / ١٢٨١هـ[1].

(١) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: (٢٣٧).

المَطْلَبُ الثَّانِي: نُبْذَةٌ عَنْ كِتَابِ: تَارِيخُ الْعَرَبِ الْعَامُّ.

هو من تأليف المستشرق «ل. أ. سيديو» كُتِب بالفرنسية ثم تُرجم إلى الإنجليزية والعربية، وقد قام بترجمته إلى العربية علي مبارك باشا سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م، ثم قام عادل زعيتر بتدارك بعض الأخطاء والنواقص في تلك الترجمة وأعاد ترجمته مرة أخرى حيث صدرت الطبعة الثانية من الترجمة عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

يقول عنه المستشرق «جوستاف دوغا»[١] لم تكن غاية سيديو إصدار كتاب قائم على التحذُّق، بل أراد رسم صورة حية ساطعة لحركة الإسلام العجيبة في جميع نواحي التاريخ والأدب والفلسفة... فَوُفِّق لبعث حضارة غابرة مؤثرة في حضارتنا، فأعاد إلى الأمة العربية مكانها... وبهذا الكتاب يُحْكَم في لوذعية مؤلفه الأدبية، فمن النادر أن تجد بين المستشرقين من طَرَّزوا دراساتهم بمثل أسلوبه الصحيح الرائع، فالحق أن أسلوب «**تاريخ العرب**» هو مثال الأسلوب التاريخي... سيبقى كتاب «**تاريخ العرب العام**» حيا في ذاكرة الأجيال[٢].

---

(١) غوستاف دوغا: هو مستشرق فرنسي ولد سنة ١٨٢٤م وتوفي سنة ١٨٩٤م، وكان أستاذا للعربية في مدرسة اللغات الشرقية، وعني بجغرافية العالم الإسلامي فله فيها مباحث مهمة وله تاريخ في فقهاء المسلمين وفلاسفتهم، وله كتاب تاريخ المستشرقين. إضافة مرجع

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر ص: (٤-٥).

ويعرب سيديو في مقدمته عن غايته من تأليف كتابه هذا فيقول: «يظهر أنه قصد نسيان العرب وإنكار ما كان لهم من تأثير في الحضارة الحديثة دام دوام القرون الوسطى ... فلقد حل الوقت الذي توجه فيه الأنظار إلى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من آسيا... ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد هو محمد، فقد ألهم محمد المبادئ اليهودية والنصرانية فأقام دينًا بعيدًا من الخوارق»[١].

ويصفه علي مبارك باشا المشرف على الترجمة الأولى للكتاب فيقول: «ولم أجد من المؤرخين ممن تصدى لتبديد هذه المفتريات سوى العالم «سيديو» أحد مشاهير علماء الفرنج ... فقد جمع في عشرين سنة تاريخاً في سفر من مؤلفات من يوثق بهم من العرب والفرنج، وبث فيه من الفضيلة المحمدية والمآثر العربية»[٢].

ويقول عادل زعيتر صاحب الترجمة الثانية للكتاب: «فنبحث عن الكتب التي ألفت في اللغتين الفرنسية والإنجليزية، فلا نجد بينها ما هو خير من كتاب: **تاريخ العرب العام** للعلامة «سيديو»[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص: (١١-١٣).

(٢) سيديو: خلاصة تاريخ العرب، ترجمة : علي مبارك باشا، ص: (٤).

(٣) سيديو: تاريخ العرب العام ترجمة: عادل زعيتر، ص: (٣).

والكتاب يتألف من سبعة أبواب يتناول فيها المؤلف تاريخ العرب من قبل بعثة النبي الكريم ﷺ وحتى زمن عبد القادر الجزائري الذي ظل يقاوم الاستعمار الفرنسي حتى سنة ١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م.

وتركزت جوانب السيرة النبوية في هذا الكتاب في الباب الثاني منه:

الباب الأول : جغرافية بلاد العرب – العرب قبل محمد ﷺ.

الفصل الأول: جغرافية بلاد العرب.

الفصل الثاني: العرب قبل محمد ﷺ.

الباب الثاني: محمد ﷺ والقرآن.

الفصل الأول: حال بلاد العرب وقت ظهور محمد ﷺ.

الفصل الثاني: محمد ﷺ.

الفصل الثالث: القرآن.

الباب الثالث: العرب بين وفاة محمد واصطراع بني أمية وبني العباس.

الباب الرابع: عظمة العرب وانحطاطهم في الشرق.

الباب الخامس: عظمة العرب وانحطاطهم في الغرب.

الباب السادس: وصف الحضارة العربية.

الباب السابع: حال العرق العربي الحاضرة.

المَبْحَثُ الثَّانِي:
الْمَوْقِفُ الاِسْتِشْرَاقِيُّ الْعَامُ مِنَ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

شغلت حياة الرسول ﷺ وسيرته حيزاً كبيراً جدًّا في الدراسات الاستشراقية، وتكاد لا تخلو أي دراسة عن الإسلام من وصف لجانب من جوانب السيرة النبوية.

يقول المستشرق جون ديفنبورت JOHN D.P في كتابه **اعتذار من محمد والقرآن:** «لا ريب أنه لا يوجد في الفاتحين والمشرعين والذين سنوا السنن من يعرف الناس حياته وأحواله بأكثر تفصيلاً وأشمل بياناً مما يعرفون من سيرة محمد ﷺ وأحواله»(١).

ولقد بدأت الكتابات المبكر ة عن رسول الله ﷺ متأثرة بروح العداء للإسلام ولنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام من قبل اليهود والنصارى، وذلك نتيجة لأن جُل من كتب عن الإسلام في تلك الحقبة كان من علماء الديانتين، لذا فقد جاءت كتاباتهم أبعد ما تكون عن الإنصاف ونزاهة البحث العلمي.

يصف د. عماد الدين خليل ذلك بقوله: «بدأ الموقف الغربي من رسول الله ﷺ يتشكل في إطار ديني صرف مترع بالتعصب والتشنج والانفعال، مليء بالحقد والغضب والكراهية، تحيطه جهالة عمياء متعمدة حيناً وغير متعمدة

(١) محمد سرور بن يايف زين العابدين: دراسات في السيرة النبوية، ص: (١١١).

أحياناً، جعلت بين القوم وبين شخصية رسولنا الكريم ﷺ سدًّا يصعب اختراقه، والنتيجة ليست أبحاثاً تاريخية علمية أو موضوعية بحال، إنما ذلك السيل المنهمر من الشتائم والسِّبَاب مارسها رجال دين من قلب الكنيسة النصرانية باتجاهاتها كافة»[١].

ومن أقدم الدراسات عن السيرة النبوية كتاب: **محمد** الذي ألفه القسيس «اسكندر ديتون» ALEXANDRE D عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، وفي عام ٨٢٠هـ / ١٤١٧م ألف «**ثورميدا**» كتابه **النبوات** الذي يحوي طرفاً يسيراً من السيرة النبوية[٢].

«ومن الأعمال الاستشراقية في السيرة النبوية قيام المستشرق البريطاني «جان غانيه» GAGNIER J[٣] بترجمة السيرة منقولة عن تاريخ أبي الفداء[٤] إلى اللاتينية ونشرها في أكسفورد سنة ١١٣٤هـ / ١٧٢٢م، وقام المستشرق الهولندي «دي يونغ» JONG.P.DE[٥] بنشر

---

(١) ينظر: عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية، ص: (١٥).

(٢) نذير حمدان: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ص: (١٧-١٩).

(٣) جان غنيه: مستشرق إنجليزي ولد في باريس (١٦٧٠-١٧٤٠م) وتعلم العبرية والعربية، من آثاره: حياة محمد. (عقيقي ٤٥/٦).

(٤) هو: إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب: الملك المؤيد، صاحب حماة. مؤرخ جغرافي، ولد سنة ٦٧٢هـ، وتوفي سنة ٧٣٢هـ. قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين، واطلع على كتب كثيرة في الفلسفة والطب. له مؤلفات منها: المختصر في أخبار البشر، ويعرف بتاريخ أبي الفداء، ترجم إلى الفرنسية واللاتينية وقسم منه إلى الإنكليزية. ينظر: الزركلي: الأعلام، (٣١٩/١).

(٥) دي يونغ: مستشرق هولندي (١٨٣٢-١٨٩٠) تخرج من قسم اللغة العربية بجامعة أوترخت من آثاره : فهرس الكتب الشرقية في جامعة ليدن، سيرة الرسول لابن هشام متنا وترجمة. (عقيقي ٣١١/٢).

سيرة ابن هشام مع ترجمة لاتينية في لايدن سنة ١٨٦٥م»[١].

كما قام المستشرق الهولندي «هادريان ريلا ندوس» ADR RELANDUS[٢] عام ١١١٧هـ / ١٧٠٥م بوضع كتاب عن الإسلام دافع فيه بجرأة عن النبي ﷺ، وأثار الكتاب ردود فعل شديدة من جانب بعض الأوساط الدينية ضد المؤلف مما أدى إلى حجز الكتاب ومنع تداوله[٣].

وإذا كانت الكتابات المتقدمة عن الرسول ﷺ قد اتسمت بروح العداء والتهجم الظاهر لسيرته ﷺ، فقد جاءت بعدها كتابات خففت من حدة الهجوم وكانت منصفة في بعض آرائها ومواقفها من السيرة النبوية، بل وصل ببعضهم أن أعلن إسلامه، ومن الأمثلة على ذلك: النمساوي محمد أسد[٤]، وكان يهوديًّا فأسلم، ولكن أمثال هؤلاء قلة. وسوف نعرض لبعض النماذج لآراء كلا الفريقين، لعل ذلك يعطي تصورًا أوضح للموقف الاستشراقي العام من السيرة النبوية.

---

(١) سامي الصقار: دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي، المنهل عدد ٥٧١ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

(٢) هادريان ريلاندوس: مستشرق هولندي (١٦٧٦-١٧١٨) تخرج من جامعة أوترخت وتخصص في الدين الإسلامي وفقه اللغة من آثاره: الإسلام في مجلدين. (عقيقي ٣٠٤/٢).

(٣) المصدر السابق، ص: (١٦٤-١٦٥).

(٤) اسمه الأصلي ليوبولد فايس نمساوي يهودي الأصل، درس الفلسفة والفن في جامعة فيينا ثم اتجه للصحافة فبرع فيها، وغدا مراسلاً صحفياً في الشرق العربي والإسلامي ، فأقام مدة في القدس، ثم زار القاهرة فالتقى بالإمام مصطفى المراغي، فحاوره حول الأديان، وانتهى به الأمر في نهاية المطاف إلى النطق بالشهادتين واعتناق الإسلام. لقصة إسلامه، ينظر: محمد أسد: الإسلام على مفترق، ص: (١٦-١٩).

الموقف الإيجابي:

وصف «بارثيلمي سانت هيلر» BARTHELMEY SAINT-HILAIRE[١] الرسول ﷺ بأنه: «أكثر عرب أهل زمانه ذكاء، وأشدهم تديناً، وأعظمهم رأفة». ويقول «آرفنج» IRVING[٢] عنه: «كان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له، وكان الرسول في كل تصرفاته منكراً ذاته، رحيماً، بعيداً عن التفكير في الثراء والمصالح المادية». ويقول «دوزي» DOZY[٣]: «لو صح ما قاله القساوسة من أن محمداً نبي منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره؟»[٤].

وحول أصل التوحيد يقول «الكونت هنري دي كاستري» H.DE CASTRIES[٥] في كتابه الإسلام سوانح وخواطر: «أما فكرة التوحيد فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي ﷺ من مطالعته التوراة والإنجيل، إذ لو

(١) بارثيلمي سانت هيلر كاتب سياسي، بحث أديان الشرق في كتب بديعة، منها: محمد والقرآن. نجيب عقيقي: المستشرقون، (١/٢٠٥).

(٢) آرفنج: مستشرق أمريكي، من آثاره : سيرة النبي العربي، تاريخ فتح غرناطة. (عقيقي ٣/١٣١).

(٣) دوزي: مستشرق هولندي (١٨٢٠-١٨٨٣) كان أستاذ للعربية في جامعة ليدن يكتب بأكثر من ست لغات، من أهم آثاره: تاريخ مسلمي أسبانيا، تاريخ بني جيان ملوك تلمسان. (بدوي ص ١٧٢، عقيقي ٢/٣٠٨).

(٤) نذير حمدان: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ص: (٢٤-٢٦).

(٥) هنري دي كاستري: مستشرق فرنسي (١٨٥٠-١٩٢٧) من آثاره: مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب، رحلة هولندي إلى المغرب. (العقيقي ١/٢١٠).

قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته...»[١].

وحول معجزة القرآن البلاغية تقول الدكتورة «لورا فيشيا فاغليري» VECCIA VAGLIERI[٢]: «إن معجزة الإسلام العظمى هي القرآن ... إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته... إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معا وهما صفتان لا تجتمعان عادة، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد وهو العربي الأمي ...»[٣].

وهذا «كارلايل» CALRLYLE[٤] أحد كبار كتاب الإنجليز وقد أثار كتابه: **الأبطال** إعجاباً في ميدان الفكر العالمي نقتطف منه ما يلي: «من العار أن يصغي أي إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين إن دين الإسلام كذب وأن محمداً لم يكن على حق، إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه

(١) المصدر السابق، ص: (٣٥).

(٢) فيشا فاغليري: مستشرقة إيطالية اهتمت بالتاريخ الإسلامي قديما وحديثا، وفقه اللغة العربية وآدابها، من أثارها : رحلة حاج عبر ليبيا في القرن السابع عشر، قواعد العربية، الدفاع عن الإسلام. (قالوا عن الإسلام: د/عماد الدين خليل ص: ٧٥)، (العقيقي: ٤٦٦/١).

(٣) نذير حمدان: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ص: (٣٦-٣٧).

(٤) كارلايل: مستشرق بريطاني (١٧٩٥-١٨٨١م) من آثاره: الأبطال وقد عقد فيه فصلا عن النبي محمد ﷺ. (العقيقي:٥٣/٢).

إلا كومة من أخلاط هذه المواد، فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس»[١].

لقد أدت بعض هذه الكتابات إلى حرمان كنسي، وطرد من رحاب المغفرة الكهنوتية، وإلى تضييق على أصحابها، ومنع تلك المؤلفات من التداول، واتهامها بالزندقة والخروج على تعاليم الكنيسة.

ومما يجدر الإشالاة إليه هنا: أنه مع وجود بعض كتابات المستشرقين الإيجابية عن الرسول ﷺ والتي تصفه بالأخلاق الكريمة، والسماحة والتواضع ولين الجانب، والإنجاز الحضاري، وغيرها من الصفات الجيدة والخصال الحميدة، إلا أنه في النادر من يُسَلِّم من أولئك المستشرقين المادحين بنبوته ﷺ، أو يؤمن برسالته وأنه الحلقة الأخيرة من الوحي الإلهي إلى البشرية. ولذا حري بالمسلم التنبه إلى هذا الموقف المتحيز، وعدم الانخداع والاغترار بذلك المديح والإطراء الذي يطلقه بعض أولئك المستشرقين على رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

الموقف السلبي:

يطول بنا المقام لو أردنا أن نستعرض جميع تلك الكتابات الاستشراقية في السيرة النبوية والتي هي أقرب إلى أسلوب السِّباب والشتائم، وأبعد ما تكون

(١) عبد الحليم محمود : أوربا والإسلام، ص: (٦١).

عن منهج البحث العلمي، وسنكتفي هنا ببعض الشواهد التي توضح الموقف السلبي للمستشرقين من سيرة نبينا الكريم محمد ﷺ.

كتب المستشرق الفرنسي «كيون» .KUHN.E[١] في كتابه: **باثولوجيا الإسلام** يقول: «إن الديانة المحمدية جذام تفشي بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هي مرض مريع وشلل عام .. وما قبر محمد إلا عمود كهرباء يبعث الجنون في رؤوس المسلمين»[٢].

ويقول «سنوك هيرغرونيه» SNOUCK HVRGRONJE[٣]: «يجب أن نقرر أن قيمة محمد منحصرة في سائر ما يميزه عن جميع الهستيريين»[٤].

ويقول مارجليوث MARGOLIOUTH: «إن الباعث على رسالة هذا الرسول هو الشعوذة لا أكثر ولا أقل»[٥] وسخر دانتي في الإنشودة ٢٨ من الكوميديا الإلهية التي أسماها «الجحيم» من عقائد المسلمين ..حين صور الرسول ﷺ في الدائرة الثامنة من دوائر الجحيم[٦].

---

(١) كيون: مستشرق ألماني من آثاره: الدراسات الشرقية لنولدكه، الدراسات الشرقية في أوربا. (العقيقي: ٣٩٥/٢).

(٢) محمد سرور زين العابدين : دراسات في السير ة النبوية، ص: (١٢٣).

(٣) سنوك هيرغرونيه: مستشرق هولندي (١٨٥٧-١٩٣٦) تعلم على دي جويه ونولدكه، زار مكة متسميا باسم عبد الغفار عام (١٨٨٤م) أجاد العربية واهتم بالدراسات الفقهية. من آثاره : الحج إلى مكة، الفقه الإسلامي، أمثال أهل مكة متنا وترجمة . (بدوي، ص: ٢٤٥. العقيقي ٣١٥/٢).

(٤) محمد سرور زين العابدين : دراسات في السير ة النبوية، ص: (١٢٣).

(٥) المصدر السابق، ص: (١٢٣).

(٦) المصدر السابق، ص: (١٢٣).

وهذا «المونسنيور كولي» في كتابه: **البحث عن الدين الحق** يصور الإسلام بأنه دين العنف والقتل والسلب والفجور فيقول: «برز في الشرق عدو جديد، ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب.. لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب»[١] ويصفه أديسون ADISSON بقوله: «محمد لم يفهم النصرانية، ولذلك لم يكن في خياله منها إلا صورة مشوهة بني عليها دينه الذي جاء به للعرب»[٢].

ويؤكد هذه الفكرة ويكررها في كتاب: **تقدم التبشير العالمي** الذي ألفه د. غلودر: «إن سيف محمد والقرآن أشد عدو وأكبر معاند للحضارة والحرية والحق، ومن بين العوامل الهدامة التي اطلع عليها العالم إلى الآن»[٣].

ويعتقد سفاري الذي ترجم القرآن سنة١١٦٥هـ / ١٧٥٢م أن محمداً قد لجأ إلى السلطة الإلهية لكي يدفع الناس إلى قبول هذه العقيدة، ومن هنا طالب بالإيمان به كرسول لله، وقد كان هذا اعتقاداً مزيفاً أملته الحاجة العقلية[٤].

أما أكبر معضلة واجهت المستشرقين في تناولهم لسيرة المصطفى ﷺ فهي صفة النبوة والرسالة، فجل كتاباتهم تسلب صفة النبوة عنه ﷺ، وترجع ذلك إلى مرض نفسي، أو صرع، أو تأثر بالديانات السابقة كاليهودية والنصرانية، أو

(١) محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص: (٥٢٨).

(٢) المصدر السابق، ص: (٥٢٩).

(٣) عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة ، ص: (١٦).

(٤) المصدر السابق، ص: (١٧).

المعتقدات القديمة وعادات العرب. فحول موقفهم من الوحي منهم من يرجع ذلك – أي الوحي – إلى صرع كان ينتاب النبي ﷺ حيناً بعد حين، ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهنه، ومنهم من يفسره بمرض نفسي وهكذا، كأن الله لم يرسل نبيًّا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي[١].

فهذا المستشرق مارجليوث MARGOLIOUTH أراد أن يأتي ببدع من القول يتناسب مع القرن العشرين، فرأى أن الباعث على بعثة الرسول ﷺ إنما هي أعمال الشعوذة –حاشاه الله من ذلك– ويؤكد هذا الافتراء بقوله: «لقد عرف محمد خدع الحواة وحيل الروحانيين ومارسها في دقة ولباقة، وقد كان يعقد في دار الأرقم جلسات روحانية، وكان المحيطون به يؤلفون جمعية سرية تشبه الماسونية[٢]، ولهم شعارات تعارف مثل «السلام عليكم» وعلامات يتميزون به كإرسال طرف العمامة بين الكتفين»[٣].

إن فيما مر ما يكفي لتصوير حالة المستشرقين تجاه السيرة النبوية، وهو بحق يصور المدى الذي وصل إليه المستشرقون في تخبطهم واضطرابهم وتعصبهم،

---

(١) مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص: (٢٠).

(٢) الماسونية لغة معناها: البناءون الأحرار، وهي في الاصطلاح: منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعه (حرية . إخاء . مساواة . إنسانية). جلُّ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، ويقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، تمهيداً لتأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية . كما يدعون . وتتخذ الوصولية والنفعية أساساً لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية. ينظر: الندوة العالمية: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٥١٠/١).

(٣) عبد الحليم محمود: أوربا والإسلام، ص: (١٢٣).

ومن المستحسن قبل أن نختم الحديث هنا أن نلقي الضوء على بعض مناهج المستشرقين في تناولهم لأحداث السيرة النبوية.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ:
مِنْ مَنَاهِجِ الْمُسْتَشْرِقِينَ فِي دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

الفهم الجاد للسيرة يقتضي منهجاً يقوم على شروط ثلاثة:

الأول: الإيمان أو على الأقل احترام المصدر الغيبي لرسالة محمد ﷺ.

الثاني: اعتماد موقف موضوعي بغير حكم مسبق يتجاوز كل الإسقاطات التي من شأنها أن تعرقل عملية الفهم.

وأما الثالث: فهي تقنية صرفة تقوم على ضرورة الإحاطة جيداً بأدوات البحث التاريخي، وإذا كان الغربيون قد بلغوا حدّ التمكن في الدائرة الأخيرة فإنهم لم يستطيعوا أن يقدموا أعمالاً علمية بمعنى الكلمة لموافقة السيرة، ولا قدروا حتى على الاقتراب من حافة الفهم؛ بسبب أنه كان يعوزهم التعامل الأكثر علمية مع الدائرتين الأوليين[1].

ويستطيع الدارس لكتابات المستشرقين أن يضع يديه على عدد من الأخطاء والثغرات المنهجية في تلك البحوث والدراسات والتي منها ما يلي:

أولاً: المبالغة في الشك والافتراض واعتماد الضعيف الشاذ:

(١) عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة، ص: (٧-٨).

يكاد يكون هذا الملمح الأساسي في مناهج المستشرقين قاسما مشتركا بينهم، يقول د. جواد علي[١]: «لقد غالوا في كتاباتهم في السيرة النبوية وأجهدوا أنفسهم في إثارة الشكوك في وقائعها، وقد أثاروا الشك حتى في اسم الرسول ﷺ، ولو تمكنوا أثاروا الشك حتى في وجوده»[٢].

ويشير «درمنغهم» DERMENGHEM,E[٣] إلى هذه المسألة فيقول: «من المؤسف حقًّا أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين.. في النقد أحياناً، فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص، ولا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة، ولن تقوم سيرة على النفي»[٤].

ثانياً: إسقاط الرؤية العقلية المعاصرة على السيرة:

إن من المتعذر بل من المستحيل كما يؤكد «أتين دينيه» DINET,ET[٥] أن يتحرر المستشرقون عن عواطفهم وبيئتهم ونزعاتهم المختلفة، وأنهم لذلك قد بلغ تحريفهم لسيرة النبي ﷺ والصحابة مبلغاً يغشى على صورتها الحقيقية من شدة التحريف فيها، وبرغم ما يزعمون من اتباعهم لأساليب النقد العلمي؛ فإنا نجد من خلال كتاباتهم محمداً يتحدث بلهجة ألمانية إذا كان المؤلف ألمانيًّا، وبلهجة إيطالية إذا

(١) صاحب كتاب: تاريخ العرب في الإسلام.

(٢) المصدر السابق، ص: (٢٠).

(٣) إميل درمنغهم: مستشرق فرنسي، عمل مديرا لمكتبة الجزائر من آثاره: حياة محمد، محمد والسنة الإسلامية . (العقيقي: ٣٤٨/١).

(٤) أميل درمنغهم: حياة محمد، ترجمة: عادل زعيتر، ص: (٨-١١).

(٥) أتين دينيه: مستشرق فرنسي (١٨٦١-١٩٢٩)، قصد الجزائر وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين من آثاره: محمد في السيرة النبوية، حياة العرب، حياة الصحراء . (العقيقي:٢٢٨/١).

كان الكاتب إيطاليًّا، وهكذا تتغير صورة محمد بتغير جنسية الكاتب، وإذا بحثنا في هذه السيرة عن الصورة الصحيحة فإنا لا نكاد نجد لها من أثر[١].

ثالثاً: إثبات الفكرة مسبقاً ثم البحث عن ما يدعمها من أدلة:

ومن مناهج المستشرقين أيضاً أنهم يبيتون فكرة مسبقة ثم يجيئون إلى وقائع التاريخ لكي يستلوا منها ما يؤيد فكرتهم ويستبعدون ما دون ذلك، ويشير د. جواد علي إلى هذا المنهج عن كيتاني فيقول: «كان كيتاني ذا رأي وفكرة، وضع رأيه وكونه في السيرة قبل الشروع في تدوينها، فإذا شرع بها استعان بكل خبر من الأخبار ظفر به ضعيفها وقويها وتمسك بها كلها، ولاسيما ما يلائم رأيه، ولم يبال بالخبر الضعيف بل قواه وسنده وعدَّه حجة وبنى حكمه عليه»[٢].

رابعاً: رد معطيات السيرة إلى أصول نصرانية أو يهودية:

إن هذا التصور يكاد يأخذ برقاب المستشرقين ويضع بصماته العميقة على مناهجهم في التعامل مع دقائق السيرة وظاهرة النبوة وسيأتي مناقشتها في البحث.

خامساً: التعاطف مع العناصر والقوى المضادة للإسلام:

يظهر المستشرق الألماني بروكلمان BROCKELMMANN تعاطفه مع اليهود ضد الرسول ﷺ، ويصفهم بحدة الإدراك، وتفوقهم العلمي على رسول

(١) عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة، ص: (٢٢).

(٢) المصدر السابق، ص: (٢٣).

الله ﷺ إذ يقول: «لم يطل العهد بمحمد حتى شجر النزاع بينه وبين أحبار اليهود، فالواقع أنهم على الرغم مما تم لهم من علم هزيل في تلك البقعة النائية كانوا يفوقون النبي الأمي في المعلومات الوضعية وفي حدة الإدراك»[١].

سادساً: التفسير المادي للتاريخ:

مع بداية القرن العشرين ونجاح الثورة البلشفية في روسيا بدأ يطل موقف جديد إزاء رسولنا ﷺ وتاريخنا الإسلامي بعامة، ينبثق عن التفسير المادي للتاريخ، لقد رأى بعضهم أن المجتمع العربي في مكة والمدينة شهد بداية تكوين مجتمع الرقيق، حيث ترى المستشرقة الروسية «بيجولفسكايا» PIGOULEVSKAYA,N.V.[٢] أن القرآن يشعر بتركيز ملكية الرقيق، وتذهب مع «بلاييف» إلى أن المرحلة الإقطاعية هي من آثار اتصال العرب بالشعوب الأخرى[٣].

سابعاً: التفسير الاجتماعي للسيرة النبوية:

يحاول بعض المستشرقين إطلاق وصف المصلح الاجتماعي على رسولنا الكريم ﷺ أكثر من وصف النبوة والرسالة، فهذا المستشرق «بندلي جوزي»[٤]

---

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ص: (٤٧).

(٢) بيجولفسكايا: مستشرقة روسية (١٨٩٤-١٩٧٠) اهتمت بتاريخ العرب قبيل الإسلام معتمدة على المصادر السريانية، من آثارها: الإقطاع في الشرق، أوربا والإسلام. (العقيقي ٩٨/٣).

(٣) عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية، ص: (٣٢).

(٤) بندلي جوزي: (١٨٧١-١٩٤٢) من أهل القدس، تخصص في قازان باللغات السامية والدراسات الشرقية تولى التدريس في معهد الرهبان . من آثاره: تعليم اللغة الروسية لأولاد العرب في جزأين-ترجم عن دكلين كتاب الأموية عند العرب (العقيقي ٦٦/٢).

يقول: «لا شك أن النبي العربي لم يقصد بأقواله وأفعاله في مكة والمدينة إلا أن يستأصل أسباب الشر الاج،تماعي ويقتل جميع جرائمه، كما يحاول أن يفعل اليوم جماعة الاشتراكيين على اختلاف أسمائهم ونزعاتهم ... وما مثل النبي من هذا الوجه إلا مثل الأنبياء الذين سبقوه، أي أنه فضل استعمال الوسائل الأدبية... على غيرها من الطرق التي لجأ إليها في عصرنا بعض مصلحي وسياسي أوربا كلينين وموسيليني وغيرهما، وعليه يمكننا أن نقول إن محمداً أجاد في وصف الأمراض الاجتماعية العربية وتعدادها أكثر منه في علاجها واستئصال جراثيمها»[1].

ثامنا: القول بالنمو التدريجي للدين:

يشير د. عماد الدين خليل في نقده لمنهج المستشرق «وات» WATT إلى هذا المنهج بقوله: «و «وات» WATT أسوة بجل الباحثين الغربيين، يأخذ بالمفهوم الغربي الحديث للنمو التدريجي للأديان، أي أن الرسول أو النبي يعمل وفق المقتضيات المرحلية لكل مرحلة تاريخية ... ومن ثم فهو لا يملك –ابتداء– رؤية شمولية عن أبعاد دوره كنبي، وعن الملامح النهائية للعقيدة التي جاء لكي يبشر بها»[2].

كمثال على ذلك نجد كثيراً من المستشرقين يقول بأن عالمية الرسالة التي جاء بها الرسول ﷺ لم تكن واضحة له أو حتى لم تكن في خلده ﷺ، ولم

(١)عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية، ص: (٣٥).

(٢) المصدر السابق، ص: (٧١).

تتضح هذه الملامح وهذه الأبعاد لدعوته —حسب زعمهم- إلا في المدينة، حيث انتقلت الرسالة -كما يدعون— من الإطار الإقليمي الخاص بالعرب إلى الإطار العالمي وهو تطور في نظرهم.

فجل مناهج المستشرقين في تعاطيهم مع السيرة النبوية ينقصها الموضوعية العلمية والمعالجة المنصفة، فتارة يبالغون في الشك والتحريف، وتارة يحاولون إعطاءها تفاسير عصرية أو مادية أو اجتماعية، أو يحاولون إثبات أفكار مسبقة كانت لديهم عن طريق الاستعانة بالغث والسمين.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ:
مَدْرَسَةُ الِاسْتِشْرَاقِ الْفَرَنْسِيِّ

من الصعوبة بمكان تحديد بداية نشأة المدرسة الفرنسية في الاستشراق تماماً كصعوبة تحديد بداية نشأة الاستشراق عموما، ومع ذلك فيمكن القول بأن علاقة فرنسا بالإسلام عموماً وبالمشرق الإسلامي تحديداً، قد مرت عبر مراحل عديدة، تعد تلك المراحل والفترات هي أهم المؤثرات في تحديد اتجاه المدرسة الاستشراقية الفرنسية تجاه الإسلام والعالم الإسلامي اليوم، وفيما يلي عرض موجز لأهم تلك المراحل:

أولاً: مرحلة الفتوحات الإسلامية:

تعتبر الفتوحات الإسلامية في الغرب النصراني و منها المقاطعات الفرنسية أوائل القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي زمن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، بداية الاتصال الفعلي بين فرنسا والإسلام، إذ وصلت جيوش الفتح الإسلامي إلى فرنسا قادمة من دولة الخلافة الإسلامية، قاصدة نشر الإسلام في ربوع الغرب النصراني قاطبة.

ويعتبر التابعي الجليل و القائد المسلم الفذ عبد الرحمن الغافقي من أعظم القادة المسلمين عبر التاريخ الإسلامي الذين ساهموا في حملات الفتح الإسلامي لأوروبا والتوغل في التراب الفرنسي، وأوشكت قواته أن تضم فرنسا إلى سلطان الدولة الإسلامية.

تولى عبدالرحمن الغافقي إمارة الأندلس عام ١١٢هـ، وقد عُرف بالصلاح

والاستقامة والعدل والبعد عن الدنيا، فبعد أن أصلح شؤون البلاد الداخلية توجه لفتح أوربا مبتدأً بفرنسا، وكانت تعرف في ذلك الوقت ببلاد الغال، واستطاع أن يفتح الحصون والمدن، وأن يدك القلاع الفرنسية الواحدة تلو الأخرى حتى ضم جنوب فرنسا وتحديداً عند جبال البرانس بكامله إلى الدولة الإسلامية، وشارف على اجتياح فرنسا، فما كان بينه وبين وسط فرنسا (باريس حاليًّا) سوى مسافة وجيزة، لولا أن قدر الله لقواته غير ذلك إذ تصدّى أحد القواد الفرنسيين ويسمى شارل مارتل «Charles Martel» بجيوشه التي تمكّن من حشدها في معركة (بواتييه) التي سماها المسلمون (بلاط الشهداء)، وهزمت الجيوش الإسلامية بعد قتال ضار لثمانية أيام وقتل قائد المسلمين عبدالرحمن الغافقي وكان من أهم أسباب الهزيمة اشتغال المسلمين بالغنائم الكبيرة التي حصلوا عليها في معاركهم السابقة مع الفرنسيين.

كانت تلك الفترة الزمنية والحادثة الكبيرة مناسبة كبرى مكّنت الفرنسيين من التعرّف على المسلمين، لقد قدر الله أن يتوقف المد الإسلامي لأوربا عند هذا الحد، ولولا ذلك لانتشر الإسلام في الغرب النصراني، ولدخلت المدن والدول الغربية آنذاك في رحاب الإسلام كما حصل في العراق وبلاد الشام وغيرها من المناطق، وهذا ما عبر عنه أحد المؤرخين الغربيين إذ يقول المؤرخ إدوارد جيبون في كتابه: «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية»: «خط انتصار المسلمين طوله ألف ميل من جبل طارق حتى نهر اللوار كان غير مستبعد أن يكرر في مناطق أخرى في قلب القارة الأوروبية حتى يصل بالساراسنز (يقصد المسلمين) إلى حدود بولندا ومرتفعات أسكتلندا، فالراين ليس بأصعب مروراً من النيل والفرات، وإن حصل ما قد ذكرت كنا اليوم سنرى الأساطيل الإسلامية تبحر في مصب التايمز بدون معارك بحرية، ولكان القرآن يدرس اليوم

في أوكسفورد، ولكان علماء الجامعة اليوم يشرحون للطلاب باستفاضة عن الوحي النازل على محمد»[١].

هذه المرحلة واحدة من أهم المراحل المؤثرة في تاريخ الاستشراق الفرنسي، إذ كان هناك احتكاك مسلح دام بين المسلمين ولفرنسيين في عقر دارهم فرنسا، ولا شك أن الانتصارات الكبيرة التي حققتها الجيوش الإسلامية في فرنسا وكذلك التهديد الكبير الذي كانت تمثله للنصرانية من جهة وللوجود الفرنسي والأوربي من جهة أخرى تأثيره الكبير في طبيعة العلاقة المتأزمة مع الإسلام والعالم الإسلامي.

ثانياً: الأندلس:

كان الغرب النصراني يعيش فترة مظلمة من فترات حياته حيث التخلف المادي والحضاري، بينما دولة الخلافة الإسلامية في الأندلس كانت تعيش أوج ازدهارها الحضاري وتقدمها في كافة الميادين العلمية، ولذا توجه الفرنسيون إلى الأندلس؛ حيث أقبلوا على تلقي علوم المسلمين بنهم شديد بغية معرفة أسرار قوة المسلمين وأسباب ازدهارهم وحضارتهم التي بهرت العالم أجمع والتي كانت تسير معهم أينما حلوا.

وفي طليعة الفرنسيين الذين درسوا في مدارس الأندلس الإسلامية الراهب الشهير جربير دورياك «Gerbert d'Aurillac» ٣٢٧هـ - ٣٩٤هـ / ٩٣٨ - ١٠٠٣م[٢]، وقد سافر هذا الراهب الفرنسي إلى الأندلس الإسلامية وقضى

---

(١) ينظر العلاقات الإسلامية النصرانية رؤية شرعية في الماضي والحاضر والمستقبل د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي، مجلة البيان، (٦/١٨٧).

(٢) جربير دورياك: راهب فرنسي، قصد الأندلس وأخذ أساتذتها في مدارس ريبول وإشبيلية وقرطبة؛ حتى أصبح أوسع رهبان عصره ثقافةً بالعربية والرياضيات والفلك، وانتُخب لمنصب البابوية باسم سلفستر الثاني سنة ٩٩٩م

ثلاث سنوات من سنة ٣٥٧هـ إلى ٣٦٠هـ / ٩٦٧-٩٧٠م في مدارسها وخاصة جامعة قرطبة، وهي مركز العلم والثقافة في ذلك الحين، وتلقى فيها كثيراً من المعارف حتى أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، وتقلّد منصب البابوية في روما في آخر حياته ٣٩٠هـ - ٣٩٤هـ / ٩٩٩-١٠٠٣م باسم سلفستر الثاني «Sylvestre II»، فكان أول بابا فرنسي، والبابا الوحيد الذي تعلّم اللغة العربية عند المسلمين في الأندلس، وأمر بإنشاء مدرستين لتعليم هذه اللغة العربية، الأولى في روما، مقر تقلّده لمنصب البابوية، والثانية في ريمس، موطنه في فرنسا، ثم أضيف إلى هذه الأخيرة مدرسة شارتر[1].

يعتبر الفرنسيون في طليعة المستشرقين الأوربيين الذين تقاطروا إلى دولة الخلافة الإسلامية في الأندلس، ويمكن القول أن جذور الحركة الاستشراقية تعود إلى القرن الرابع الهجري القرن العاشر الميلادي تقريباً، وإن لم يكن قد ظهر هذا المصطلح في ذاك العهد؛ حيث ازدهرت الحضارة الإسلامية في الأندلس، ووجدت المدارس والجامعات التي كان يتردّد إليها المتعلّمون والباحثون من جميع بلاد أوروبا.

وبعد أن عاد أولئك الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفاتهم، ثم أُسّست المعاهد للدراسات العربية وأخذت الأديرة تدرّس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية —وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ-، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة

(٣٨٩هـ)، فكان أول بابا فرنسي. انظر ترجمته في: موسوعة المستشرقين: لعبد الرحمن بدوي، ص: (١٧٨) والمستشرقون: لنجيب عقيقي، (١/١١٠).

(١) بابال فبريس سليمان: الاستشراق الفرنسي المعاصر وموقفه من الدعوة والثقافة الإسلامية، رسالة الماجستير، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، الجامعة الإسلامية ١٤٣٦هـ ص:

ستة قرون. ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا القرآن والكتب العربية العلمية والأدبية»[١].

وبفضل هذه البعثات العلمية عبرت الثقافة الإسلامية من إسبانيا إلى فرنسا في هذه الفترة واستقرت فيها. وكانت من نتائج عبور الثقافة الإسلامية إلى فرنسا أن أصبحت هذه الدولة مركزاً لنشرها ابتداءً من الفرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي[٢].

ثالثاً: الحروب الصليبية:

ثم بعد ذلك جاءت مرحلة مهمة جدا وحاسمة وذات أثر كبير في علاقة الغرب النصراني بالإسلام عموما، وعلى الحركة الاستشراقية خصوصا؛ وهي: الحروب الصليبية التي زادت من اهتمام فرنسا أكثر بالشرق العربي الإسلامي. ولا أدل على ذلك من الدور الفرنسي البارز والفعّال في شن هذه الحروب على البلاد الإسلامية، وتحمّسها الشديد لها حيث كان لها مشاركة فاعلة في أغلب تلك الحملات كما أنها كانت رائدة تلك الحملات فقد انطلقت الحملة الصليبية من فرنسا وكانت فرنسا هي كذلك قائدة خاتمة الحملات الصليبية وهي الحملة السابعة.

استغرقت الحروب الصبيية قرابة قرنين من الزمان (٤٩٠هـ - ٦٩٠هـ)، وفيما يلي بيان موجز لأهم معالمها:

أولاً: الحملة الصليبية الأولى:

---

(١) مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، (ص ١٣-١٤).

(٢) بابال فريس سليمان: الاستشراق الفرنسي المعاصر وموقفه من الدعوة والثقافة الإسلامية، رسالة الماجستير، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، الجامعة الإسلامية ١٤٣٦هـ ص:

جاءت الحملة الصليبية الأولى استجابة لدعوة البابا «أوربان الثاني» في مدينة «كليرمون»، في جنوب فرنسا، في نوفمبر من عام ١٠٩٦م، لتحرير بيت المقدس من أيدي المسلمين. وقد كان الهدف الديني هو المحرك الأساس لهذه الدعوة، وإن لم تخل من أهداف اقتصادية وسياسية كبقية الحملات الصليبية.

تكونت الحملة من خمسة جيوش جرارة قدمت من فرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، التقت في عاصمة الإمبراطورية البيزنطية «القسطنطينية»، في أواخر عام ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م، ثم عبرت مضيق البسفور متجهة نحو دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، فسقطت عاصمتهم «نيقيَّة» عام ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م. وفي الطريق إلى «أنطاكية» جنح قسم من الصليبيين نحو الرها، وكوَّنوا أول إمارة صليبية في قلب العالم الإسلامي.

وفي أواخر عام ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م فرض الصليبيون حصاراً على أنطاكية التي صمدت صموداً باهراً أمام الحصار، لولا خيانة بعض الأرمن المستأمنين على أحد أبراجها، فسقطت في منتصف عام ٤٩١هـ / ١٠٩٨م، وهكذا تكونت الإمارة الصليبية الثانية عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م في أنطاكية.

وكان الهدف الأخير، والحلم المنشود لهذه الجموع الهادرة مدينة «القدس»، فحاصروها على مدى خمسة أسابيع، ثم سقطت في أيديهم، قال ابن كثير – رحمه الله–: «لما كان ضحى يوم الجمعة، لسبع بقين من شعبان، سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة، استحوذ الفرنج لعنهم الله بيت المقدس شرفه الله، وهم في نحو ألف ألف مقاتل، فقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، وجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً»[1].

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، (١٦/١٦٦).

ثانياً: الحملة الصليبية الثانية:

جاءت هذه الحملة رد فعل بطيء لسقوط إمارة الرها وعودتها في أيدي المسلمين مرة أخرى، في عهد البابا «إيجينيوس الثالث» ٥٤٠ – ٥٤٨هـ / ١١٤٥ – ١١٥٣م، وتكونت من جيوش ألمانيا، بقيادة الإمبراطور «كونراد الثالث»، وفرنسا، بقيادة ملكها «لويس التاسع»، ووصلت إلى المنطقة نهاية عام ٥٤٢هـ / ١١٤٧م، وقد مُنيت بالإخفاق الذريع، وعاد الملكان الصليبيان يجران أذيال الخيبة.

ثالثاً: الحملة الصليبية الثالثة:

تكونت الحملة الصليبية الثالثة من كبار ملوك أوروبا، وهم: الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا (٥٤٧ – ٥٨٦هـ / ١١٥٢ – ١١٩٠م) الذي هلك غرقاً في أحد أنهار آسيا الصغرى، وتمزق جيشه، وملك إنجلترا ريتشارد الأول (٥٨٥ – ٥٩٦هـ / ١١٨٩ – ١١٩٩م)، وملك فرنسا فيليب أغسطس (٥٧٦– ٦٢٠هـ / ١١٨٠ – ١٢٢٣م).

ولم تتمكن هذه الحملة التي علقت عليها الآمال من تحقيق أهدافها من استعادة بيت المقدس ومدن الساحل، رغم ما بذلوه من محاولات، وتكبدوه من خسائر، وهزائم متكررة. وانحصرت مكاسبهم في الاستيلاء على عكا، وعاد ملوك أوروبا يجرّون أذيال الخيبة.

رابعاً: الحملة الصليبية الرابعة:

وقعت في سنة ٦١٤هـ الموافق سنة ١٢١٧م بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي وكان هدف هذه الحملة «مصر»، وذلك في عهد البابا «إنوسنت

الثالث» (٥٨٥ – ٦١٣هـ / ١١٩٨ – ١٢١٦م)، ولكن مسار الحملة انحرف عن القاهرة إلى القسطنطينية؛ تحقيقاً لأحلام بابوية روما القديمة في القضاء على الكنيسة البيزنطية الأرثذوكسية، فدمروا المدينة الحصينة ونهبوها، ثم قصدوا بلاد الشام، فنزلوا عكا، وأغاروا على كثيرٍ من بلاد الإسلام ثم وقعت بينهم وبين المسلمين هدنة وفشلت الحملة في تحقيق أهدافها.

خامساً: الحملة الصليبية الخامسة:

وقعت في سنة ٦١٦هـ الموافق سنة ١٢١٩م، واستهدفت هذه الحملة مصر أيضاً، وانطلقت قوات الصليبيين من عكا على الساحل الشامي، ونزلت على «دمياط». ولم تحقق أهدافها واضطروا إلى الصلح مع المسلمين.

سادساً: الحملة الصليبية السادسة:

قائد هذه الحملة هو الإمبراطور الألماني فردريك الثاني (٦١٢ – ٦٤٨هـ / ١٢١٥ – ١٢٥٠م)، والذي استغل تفرق حكام الدولة الأيوبية، وروح الضعف والمسالمة التي أبداها الملك الكامل أثناء حصار دمياط، فحقق عن طريق السياسة مكاسب لم تحققها الحملات الصليبية العسكرية الضخمة! فقد قدم فلسطين بستمائة فارس فقط، وأسطول هزيل، ومع ذلك رجع وقد تسلم بيت المقدس!

سابعاً: الحملة الصليبية السابعة:

كانت هذه الحملة موجهة أيضاً إلى مصر، حيث انطلقت من ميناء مرسيليا الفرنسي بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، ونزلت قبالة «دمياط»،

وذلك في آخر حياة الملك الصالح أيوب، فهرب من كان فيها من الجند والعامة، واستحوذ الفرنج على الثغر، وقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين. ثم توفي الملك الصالح في تلك الأثناء، واستدعي ابنه الملك المعظم توران شاه. وفي مطلع السنة التالية، سنة ثمانٍ وأربعين وستمائة في ثالث المحرم، يوم الأربعاء، كان كسر المعظم توران شاه للفرنج على ثغر دمياط، فقتل منهم ثلاثين ألفاً، وقيل مائة ألف، وغنموا شيئاً كثيراً ، ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أُسروا، وكان فيمن أُسر ملك الفرنسيين وأخوه. وقد أفرج عنه فيما بعد لقاء فدية كبيرة، والانسحاب عن دمياط.

وعندما فشلت الحملة الصليبية السابعة (٦٤٦-٦٥٢هـ / ١٢٣٨-١٢٥٤م) ووقع قائدها القديس لويس التاسع ملك فرنسا في أسر المسلمين اكتشف وجوب العدول عن قتال المسلمين بالسيف إلى تنصير المسلمين عن طريق الغزو الفكري، واقتضى هذا العدول الواجب وضع الخطوط الرئيسية لسياسة جديدة قام به هذا الملك الفرنسي.

رابعا: الاحتلال الفرنسي المعاصر للبلاد الإسلامية.

في فترة الحروب الصليبية في الشرق الإسلامي صاحب الاهتمام الفرنسي بالجانب المادي من الثقافة الإسلامية بداية الحرب الفكرية ضد الإسلام، وفي ظل هذه السياسة أصبحت دراسة الإسلام والتصدي له فكريًّا أمرا ضروريًّا للأوروبيين، أي يجب على علمائهم القيام بدراسة الجانب الروحي من الثقافة الإسلامية لتشكيك المسلمين في معتقداتهم التي هي سر إرادتهم للمقاومة والجهاد، وعلى هذا الأساس ظهر طور جديد من الاستشراق، وذلك من خلال الاستيلاء على المزيد من التراث الإسلامي وكنوزه المخطوطة، وتضاعفت

جهود النصارى في الغرب في ترجمة هذا التراث إلى لغتهم.

يقول المستشرق الفرنسي «جوستاف دوجا» Gustave Dugat: «فترة التكوين لدراسة لغات وآداب الشرق بدأت في فرنسا في القرن الثاني عشر الميلادي. وفي عام ٧١١هـ / ١٣١١م، قرر المجمع الكنسي في فيينا بتعليم العبرية، والكلدانية والعربية في جامعة باريس، وفي سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م أوصى البابا «جان الثاني والعشرون» Jean XXII جامعة السوربون خاصة بالاهتمام بهذه اللغات»[(١)].

وإذا كانت الملكية الفرنسية قد جندت بعض أبناء فرنسا ابتداءً من العقد الثالث للقرن الثامن عشر الميلادي العقد الرابع من القرن الحادي عشر الهجري لدراسة اللغات الشرقية وإتقانها بقصد الترجمة، فإنها ابتداءً من عهد لويس السادس عشر قررت تثبيت أقدام فرنسا في الشرق الإسلامي وتنمية التجارة الفرنسية في هذا الجزء من العالم، ولا سيما بعد أن قامت بعض الأصوات تدعو إلى ضرورة احتلال مصر سنة ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م لهذا الغرض.

ومن هنا وجد الفرنسيون أن الحاجة ليست ماسة إلى دراسة اللغات الشرقية لأعمال الترجمة فحسب، بل أيضاً إلى السفر إلى البلاد الإسلامية للتجسّس عليها والتعرّف على أحوالها وكتابة التقارير عنها[(٢)].

واختتمت هذه المرحلة بجهود نابليون من أجل بقاء سيطرة فرنسا على المسلمين في مصر.

---

(١) بابال فبريس سليمان: الاستشراق الفرنسي المعاصر وموقفه من الدعوة والثقافة الإسلامية، رسالة الماجستير، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، الجامعة الإسلامية ١٤٣٦هـ ص:

(٢) انظر: مصطفى الحاج مالك بوكاري: الاستشراق الفرنسي وموقفه من تأريخ عهد النبوة، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والسيرة النبوية، الجامعة الإسلامية ١٤ هـ (ص ١١٨-١٨٧).

فقد ظلت فكرة السيطرة على المشرق الإسلامي في مخيلة الفرنسيين حتى بعد مضي ما يزيد على خمسة قرون على الحروب الصليبية؛ إذ كررت فرنسا محاولة الاحتلال العسكري لمصر، وهي الحملة العسكرية التي قام بها الجنرال نابليون بونابرت على مصر والشام (١٢١٣ – ١٢١٦هـ / ١٧٩٨-١٨٠١م) بهدف إقامة قاعدة في مصر تكون نواة لامبراطورية فرنسية في الشرق من ناحية، وقطع الطريق بين بريطانيا ومستعمراتها في الهند من ناحية آخرى، وأيضاً لاستغلال مواردها في غزواته في أوروبا، استمرت الحملة ثلاث سنوات وفشلت، وأسفرت عن عودة القوات الفرنسية إلى بلادها، وقد صاحب هذه الحملة اهتمام علمي، إذ كان مصاحب للحملة المئات من العلماء والخبراء الفرنسيين في كافة الميادين والتخصصات رصدوا واقع مصر في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والدينية والسياسية والعسكرية، وخرجوا بموسوعة علمية ضخمة عن مصر وإمكاناتها وأحوالها في ذلك الوقت.

لقد كانت تلك الحملة من العوامل التي دفعت الأوروبيين بوجه عام والفرنسيين بوجه خاص إلى توسيع دائرة اهتمامهم بالإسلام والدراسات المتعلقة به، وعلى رأسها اللغة العربية، في القرن التاسع عشر الميلادي القرن الثالث عشر الهجري، كما مهددت للاحتلال الفرنسي المعاصر للعالم الإسلامي، والذي بدأ يتشكل في الواقع التاريخي باحتلال الجزائر عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م.

ومن الصفات البارزة التي اتصفت بها هذه المرحلة، وقوف المحتلين الفرنسيين، والمنصّرين والمستشرقين مع المسلمين وجهاً لوجه وفي عقر دار المسلمين.

فقد كان دور المستشرق الرئيس في هذه المرحلة هو العمل على بقاء

وحماية سيطرة المحتلّ الفرنسي عن طريق اتخاذ موقف سلبي نحو الإسلام الذي هو عنصر المقاومة ومحورها في العالم الإسلامي.

وهكذا كان للسلطات الفرنسية دور بالغ الأهمية في احتضان حركة الاستشراق ورعايتها وتوجيهها واستغلالها بكل إمكانياتها وجهودها يدفعها إلى ذلك حرصها على بقاء السيطرة الفرنسية على هذا الجزء من العالم الإسلامي[١].

وحتى هنا يتأتى القول إن هذه الفترة تعدّ أهمّ مراحل الاستشراق الفرنسي، ومن ثم يسمح لنا أن نسمّيها بمرحلة التأسيس والاستقلال الحقيقيين للاستشراق الفرنسي؛ بحيث في هذه المرحلة بالذات فتح الباب واسعاً لمعرفة الشرق الإسلامي ودراسته من جميع نواحيه، والاهتمام بالأعلام والشخصيات الإسلامية، والآثار الأدبية والعلمية والدينية.

عموماً، يمكن إحصاء مميّزات هذه المرحلة في أربعة منجزات علمية كبرى، وهي:

أولاً: تأسيس جمعيات، ومجلات وكراس علمية.

ثانياً: جمع المخطوطات والآثار الشرقية، وتحقيقها، ودراستها ونشرها.

ثالثاً: ترجمة المؤلفات الشرقية إلى الفرنسية.

رابعاً: تكوين أطر علمية فرنسية تهتمّ بالدراسات الشرقية[٢].

يصف أحد الباحثين هذه المرحلة من مراحل المدرسة الفرنسية الاستشراقية بقوله: «تعتبر هذه المرحلة امتداداً طبيعيًّا لمرحلة الوجود الفعلي في البلاد الإسلامية. ففي هذه المرحلة استطاعت فرنسا أن تمدّ نفوذها إلى المغرب

---

(١) المصدر السابق (ص ١٨٥-٢٠٠) بتصرف.

(٢) د. أحمد النصري: آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن، (ص٢٧-٢٩).

«مراكش» سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٢م، وأن تبتلع سوريا ولبنان في سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م، فدعت الضرورة نتيجة لهذه الزيادة في التوسّع إلى زيادة الاهتمام بالإسلام واللغة العربية بوصفها لغة الدين الإسلامي ولغة المسلمين في جميع المناطق المحتلّة، وهي الجزائر، وتونس، والمغرب، وسوريا ولبنان.

وكان من نتائج هذا الاهتمام أن أوجدت السلطات الفرنسية في بعض مستعمراتها في الدول الإسلامية المعاهد والمدارس، وأن نشرت مستشرقيها ومبشريها في هذه المستعمرات وفي مصر؛ ليصبحوا سياسيين، وجامعيين، ومجمعيين وعسكريين.

وكان من نتائج نشر هؤلاء في المستعمرات الفرنسية الإسلامية أن كتب معظمهم كتابات استشراقية عدوانية استعمارية سياسية عن الإسلام والرسول ﷺ والقرآن، تحت ستار النقد التاريخي للدراسات الإسلامية.

وقد استطاعت السلطات الاستعمارية في هذه المرحلة توحيد موقف مستشرقيها ومبشّريها لمحاربة الإسلام، فتمثّلت حرب المبشّرين بالكتابات الاستشراقية العدوانية الدينية التنصيرية»[(١)].

ولعل من الملائم أن يُختم هذا الموضوع بأهم ملامح مدرسة الاستشراق الفرنسي والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

١. يمكن القول بأن المدرسة الفرنسية هي رائدة المدارس الاستشراقية في أوروبا كلها، وذلك منذ بدايات حركة الاستشراق، وبالتالي يكفي لمن أراد معرفة جذور الاستشراق الفرنسي أن يقرأ ما أُلّف في تأريخ الاستشراق عامة؛

---

(١) انظر: مصطفى الحاج مالك بوكاري: الاستشراق الفرنسي وموقفه من تأريخ عهد النبوة، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والسيرة النبوية، الجامعة الإسلامية ١٤ هـ (ص ١١٨-١٨٧).

حتى يعلم كيف بدأ الاستشراق في فرنسا، وفي أيّ وقت بدأ الاهتمام بالشرق لدى الفرنسيين.

٢. لها أثر في توجيه الاستشراق عموما والألماني خصوصا، ويبرز ذلك من خلال تتلمذ الكثير من الألمان على المستشرقين الفرنسيين ونخص بالذكر منهم «فرايتاج وفلوجل وفليشر».

٣. كان لجامعة السوربون أثر واضح في تنشيط الدراسات الشرقية في فرنسا قديماً وحديثاً.

٤. نشأت معظم الجامعات والمعاهد الفرنسية التي تعنى بالدراسات الشرقية بجهود رهبان وقساوسة وتولى هؤلاء إدارة الأمور فيها.

٥. أبرز ملامح هذه المدرسة هو العداء العام للإسلام وأهله، وهذا ما يشير إليه أحد الباحثين بقوله: «هناك ستار من الحقد عند أصحابنا أبناء فرنسا يحول بينهم وبين أن يفهمونا، حقد قديم يرجع إلى الحروب الصليبية، والفرنسيون يعتقدون أنها كانت حرباً بين فرنسا والإسلام»[(١)]. ويضيف قائلاً: «وحقد جديد بدأ سنة ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م عندما اعتدى الفرنسيون على الجزائر... حقد على عرب المغرب لأنهم لم يستسلموا لفرنسا ويقدموا بلادهم هدية لها. وحقد على عرب المشرق لأنهم لم يتركوا إخوانهم لها، تفعل بهم ما تريد»[(٢)].

ويؤكد عداء الفرنسيين للإسلام كذلك أحد المتخصصين في مجال الدراسات الاستشراقية بقوله: «إن من النادر أن تقرأ لمستشرق فرنسي شيئاً طيباً

---

(١) محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، ص: (٥٦٨).

(٢) المصدر نفسه، ص: (٥٦٩).

عن حياة الرسول ﷺ لأنه حتى لو وجد شيئاً فإن لسانه لا يطيعه في كتابته، ولو قاله فإنه يتحفظ في قوله تحفظاً بالغاً حتى يخيل إليك أنه يخشى الوقوع في النار»[1].

ما سبق هو أبرز المراحل التي أثرت في المدرسة الاستشراقية الفرنسية، وقد كان نتاج تلك المراحل الحاسمة في تاريخ العلاقة بين الإسلام وفرنسا النصرانية مئات المراكز الاستشراقية والجمعيات العلمية والكراسي الأكاديمية والأقسام العلمية في الجامعات الفرنسية المعنية بالإسلام والعالم الإسلامي، وكان من نتائجها آلاف الكتب في شتى الموضوعات العلمية والفقهية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية المتعلقة بالإسلام والعالم الإسلامي.

(١) نذير حمدان: الرسول في كتابات المستشرقين، ص: (١٥).

الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

شَخْصِيَّةُ الرَّسُولِ ﷺ عِنْدَ «سيديو» (عَرْضٌ وَمُنَاقَشَةٌ).

وَفِيهِ أَرْبَعَةُ مَبَاحِث:

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: شَخْصِيَّةُ الرَّسُولِ ﷺ وَحَيَاتُهُ الْخَاصَّةُ.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: مُحَمدٌ ﷺ وَالسِّيَاسَةُ وَالزَّعَامَةُ.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: عَلاَقَتُهُ ﷺ بِأَصْحَابِهِ.

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: عَلاَقَتُهُ ﷺ بِالْيَهُودِ.

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ:
شَخْصِيَّةُ الرَّسُولِ ﷺ وَحَيَاتُهُ الْخَاصَّةُ

تناول «سيديو» شخصية الرسول ﷺ بطريقتين مختلفتين:

الأولى: فيها إبراز لبعض صفاته الشخصية والخلقية مع إطراء وثناء عليها.

الثانية: فيها تهجم وافتراء وبث للشبهات.

فأما الطريقة الأولى:

فهو يقول في عدله عليه الصلاة والسلام: «ومن يجهل أنه لم يعدل إلى آخر عمره»[١].

وفي تواضعه وحلمه وكرمه يقول: «وهو لم ينتحل أوضاع الأمراء قط.. وكان محمد حليماً معتدلاً، وكان يأتي بالفقراء إلى بيته ليقاسمهم طعامه»[٢].

وفي بشاشته ولين جانبه يقول: «فيسحر .. بما يعلو وجهه الرزين الزاهر من البشاشة، وكان لا يضجر من طول الحديث، وكان لا يتكلم إلا قليلاً، وكان يوحي في كل مرة باحترام القوم له»[٣].

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٩٠).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٩٠).

(٣) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٩٠).

ويصف نبينا الكريم ﷺ باللطافة وحسن المعشر فيقول: «وكان محمد متصفاً بالأنس واللطف فاستوجب محبة الجميع»[١].

وفي موطن آخر يصف النبي ﷺ بالأمانة وحسن السلوك فيقول: «ولقب محمد بالأمين في الخامسة والعشرين من سنه لأمانته وحسن سلوكه»[٢].

وأما الطريقة الثانية: فهي الشبهات:

وفيما يلي أبرز الشبهات حول شخصية الرسول ﷺ التي بثها سيديو في ثنايا بحثه عن السيرة النبوية:

(أ) شبهة غموض حياة الرسول ﷺ الأولى:

يصف سيديو السيرة النبوية وحياة الرسول ﷺ بالغموض فيقول سيديو: «كانت سنوات محمد الأولى غامضة»[٣].

المناقشة العلمية:

ولا ندري أين مواضع الغموض التي يتحدث عنها المستشرق «سيديو»؟. بالإضافة إلى أنه لا يسوق دليلاً على رأيه الآنف. ويبدو أن هذا الرأي قد قال

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥٨).

(٢)سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥٨).

(٣)سيديو: تاريخ العرب العام،ص: (٥٨).

به أكثر من واحد من المستشرقين، فهذا «ول ديورانت» W.DURANT[١] يقول: «ولا نكاد نعرف عن شباب محمد إلا القليل»[٢].

ويذهب «بروكلمان» BROCKELMMANN إلى أنه لا يوجد مصادر موثوقة لحياة الرسول ﷺ الأولى غير ما ورد في سورة الضحى إذ يقول: «ولسنا نملك بينة موثوقاً بها عن حياة النبي الأولى إلا هذه الآيات القرآنية من سورة الضحى»[٣].

إن الواقع التاريخي يبين تهافت هذه الفرية وسقوطها، إذ إن الناظر في المكتبة الإسلامية يجد أن ما كُتِب عن رسول الله ﷺ قد أخذ نصيب الأسد، ولو أُرِيد جمع ذلك التراث منذ صدر الإسلام الأول وإلى الآن لكان من الصعب إن لم نقل من المستحيل خاصة إذا استعرضنا ما كُتب عن رسول الله ﷺ باللغات الأخرى غير العربية وما أكثرها.

أي غموض يقصده المستشرق سيديو عن شخص معروف نسبه ومكان وتاريخ ولادته ورضاعه وطفولته وكفالته وشبابه، بل إننا نكاد نجزم أنه لم يتهيأ لشخصية في التاريخ من الرصد والوضوح ما تهيأ لنبينا محمد ﷺ.

كتب «جون ديفنبورت» JOHN.D.P سنة١٨٧٠م /١٢٩٠هـ كتابًا بالإنجليزية[١] في السيرة المحمدية، يقول في مقدمته: «لا ريب أنه لا يوجد في

---

(١) ول ديورانت: مؤلف أمريكي معاصر، يعد كتابه قصة الحضارة ذو الثلاثين مجلدا، واحدا من أشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية، ومن آثاره أيضا: قصة الفلسفة . (ماذا قالوا عن الإسلام: د.عماد الدين خليل: ص: (٦٤).

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة د،نجيب محمود، ص: (٢٢/١٣).

(٣) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ص: (٣٣).

الفاتحين والمشرعين والذين سنوا السنن من يعرف الناس حياته وأحواله بأكثر تفصيلاً وأشمل بياناً مما يعرفون من سيرة محمد ﷺ وأحواله»[٢].

وإن الباحث التاريخي والقارئ المنصف ليجد أن جل كتب التاريخ قد عقدت فصولاً وأبواباً وأحياناً أجزاء كاملة للسيرة النبوية، فهذا الحافظ ابن كثير يعقد في تاريخه البداية والنهاية أربعة أجزاء في مجلدين لأحداث السيرة النبوية، وقد سبق إلى ذلك كلٌّ من الطبري وابن الأثير في تاريخهما، وكذلك الحال بالنسبة لكتب السنة عقدت فصولاً وأجزاء في أحداث السيرة النبوية، هذا بالإضافة إلى كتب السيرة المتخصصة، كسيرة ابن هشام ومغازي الواقدي وغيرها.

إن القارئ المنصف يعلم أن سيرة الرسول الأكرم ﷺ من أشد السير وضوحاً وشمولية وجزالة في التفاصيل وتنوعاً في المجالات.

العظماء والملوك عبر التاريخ لديهم حياتان: حياة عامة، وحياة خاصة تتعلق بوسطهم العائلي والأسري، وهذا الجانب لا يسمح لأحد بالاطلاع عليه إلا النادر اليسير، وفي حالة سيرة المصطفى ﷺ فقد علمنا ما يقع في بيته ﷺ من مشكلات زوجية، بل أخبرتنا المصادر الحديثية عن صفة غسله عليه الصلاة والسلام مع زوجته، وهذا أمر لا يتأتى لأحد سوى لرسولنا الكريم ﷺ.

وليس من المبالغة أبداً القول بأن المسلم العادي يعلم عن الرسول محمد ﷺ أكثر مما يعلم عن والده الذي يسكن بجواره.

---

(١) بعنوان: اعتذار من محمد والقرآن.

(٢) محمد سرور زين العابدين: دراسات في السيرة النبوية، ص: (١١١).

ويظهر تساؤل هنا: لم يحرص سيديو وغيره من المستشرقين على وصف حياة الرسول ﷺ الأولى بالغموض؟ مع تيقنهم بأن الحق خلاف ذلك، لم حرص سيديو وغيره على التجهيل بحياة الرسول ﷺ على ما فيها من وضوح إلا لأن إثارة مثل هذه الشبهة يهيئ الفرصة للتخمين والافتراض عند تناولهم لشخص الرسول ﷺ، وهو ما عبر عنه المستشرق «وات» WATT عندما قال: «كانت السنوات التي تلت زواجه سنوات إعداد لعمله في المستقبل، لم يحفظ لنا شيء عنها يسمح لنا بإعادة تكوين مراحل هذا الاستعداد، وأفضل ما نفعل هو أن نقوم ببعض الاستنتاجات مما وصلنا فيما بعد لهذه الآيات من سورة الضحى»[(١)].

(ب) فرية على شخص الرسول ﷺ:

يفتري «سيديو» على شخص الرسول ﷺ مدَّعياً بأن هناك جانب من حياته عليه الصلاة والسلام في شيئ من الهنات والثغرات التي يحاول الرسول ﷺ إخفاءها عن الناس، حيث يقول «سيديو: «وتراقب جميع أعماله فما ينبغي أن يكون في حياته العامة التي يفسرها كل الناس ثغرة تناقض فيكفي لأن يعرض عنه إلى الأبد أولئك الذين لا يزالون يترددون في عده إنسانا يعلو البشر إذا ما وجدوا مثل ذلك التناقض مع إعجابهم بثبات جأشه، ولم تكن حياته الخاصة لتخفى على أحد، فلم يلبث أن كشف ما فيه من ضعف»[(٢)].

المناقشة العلمية:

---

(١) مونتغمري وات: محمد في مكة، ترجمة : شعبان بركات، ص: (٧٥).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٦٥).

إن منهج البحث العلمي يُلْزِم المستشرق بأن يدلل على ما يقول، ولا نطلب منه غير دليل واحد فقط، ولكنه لن يجده مهما حاول من لَيِّ أعناق النصوص، لأن سيرة نبينا الكريم ﷺ أنصع وأنقى سيرة عرفتها البشرية جمعاء، كيف لا وهو القائل عنه ربه جل في عظمته: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ {القلم: ٤}. وقالت عنه زوجه عائشة رضي الله عنها «**كان خلقه القرآن**»[(١)]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا ...الحديث[(٢)].

كما أن المستشرق يناقض نفسه حين يقول : «فما ينبغي أن يكون في حياته العامة التي يفسرها كل إنسان ثغرة تناقض فيكفي لأن يعرض عنه إلى الأبد».

وقوله: «ولم تكن حياته الخاصة لتخفى على أحد فلم يلبث أن كشف ما فيه ضعف فإن كان الأمر كما قال وأن حياته الخاصة لا يخفى على أحد ما فيها ضعف فيكون لزاما أن يعرض عنه إلى الأبد».

إلا أن التاريخ يثبت عكس ذلك، فالناس قد دخلوا في دين الله أفواجاً، ويذكرنا «سيديو» هنا بموقف الكتاب الغربيين في العصور الوسطى من الإسلام

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل، رقم: (٧٤٦)، (١/٥١٢-٥١٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب، الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، رقم: (٥٨٥٠)، (٥/٢٢٩١)، ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب استحباب تحنيك المولود، رقم: (٢١٥٠)، (٣/١٦٩٢).

ونبي الإسلام، إذ لا يعنيهم الاعتماد على مصدر علمي يستقون منه معلوماتهم عن الإسلام ونبي الإسلام، فلا يضيرهم أن يختلقوا من بنات عقولهم وخيالاتهم كل افتراء وبهتان طالما أنه موجه لرسول الله ﷺ.

وهذا ما يؤكده المؤرخ «جلبرت» JALA BERT,P.H إذ يعترف في كتابه عن النبي محمد ﷺ أنه ليست لديه مصادر عربية ولكنه يقرر أنه لا خوف من الكلام عن رجل تفوق شروره أي ظلم يمكن أن نظلمه به[١].

(ج) زعمه القنوط في حياة محمد ﷺ:

يصف «سيديو» مضايقة قريش لرسول الله ﷺ فيقول: «فكانت كلما طاف حول الكعبة أسمعته ما فيه إهانته وما فيه تهديده»، ثم يضيف قائلا: «ويدخل محمد ذات يوم بيته قانطا»[٢] وتباعاً للمنهج الذي يسير عليه «سيديو» فهو يرمي بالفرية أو الشبهة ولا يقيم لها الدليل العلمي الذي يساندها.

ولا ندري كيف يكون يائساً وقانطاً من تحمل الشدة وصبر على اللأواء وأصر على متابعة الطريق رغم مشقته ووعورته؟ ألم تحفظ كتب التاريخ وترو كتب السيرة مقولته لعمه عندما ظن أنه خاذله؟، عندما جاءه قائلاً لا تحملني ما لا أطيق، فقال: «**يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته**»[٣].

---

(١) أحمد عبد الحميد غراب: أضواء على الاستشراق والمستشرقين، ص: (٨).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٦١).

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، (٢٨٥/١)، وكذلك الذهبي: السيرة النبوية، ص: (٨٥).

إن رسول الله ﷺ لم يعرف القنوط أو اليأس في حياته، فهو قد نشأ تحرسه رعاية الله ومنه يستمد العون والنصرة، وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في الصبر عند الشدائد، ولكن المستشرقين يغمضون أعينهم عنها جهلاً أو تجاهلاً.

وقد حفظت لنا كتب السنة كيف كان عظيم يقينه ﷺ بربه وصدق وعده له، فعن أبي عبد الله خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصرنا ألا تدعو لنا؟ فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**»[(١)].

كيف يكون قانطاً من هذه كلماته؟ إنها كلمات تفوح يقيناً بالله عز وجل وثقة بموعوده سبحانه، وثباتاً كثبات الجبال أو أشد.

إلا أن المستشرق لا يلتفت إلى هذه النصوص؛ فهي تعارض آراءه، وتخالف ما يحاول إلصاقه بنبينا الكريم ﷺ من سفات لا تليق به.

(د) قدرات الرسول ﷺ في نظر «سيديو»:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإكراه، باب من اختار القتل والهوان على الكفر، رقم: (٦٥٤٤)، (٦/ ٢٥٤٦).

ما أهم قدرات الرسول ﷺ في نظر سيديو وأهم ما يميزه عن غيره من مزايا؟ هو ما ينص عليه في قوله: «وكل ما يميز به هو أنه نال في أثناء رحلاته تجربة فريدة ومعرفة ممتازة لطبيعة الإنسان يقدر بها على تقدير قيمة الرجل الأدبية من فوره»[1].

ولا ندري لماذا يهمل «سيديو» غيرها من المزايا الحقيقية التي يمتاز بها رسولنا الكريم ﷺ كالشجاعة وحسن الخلق والكرم ولين الجانب والحلم وغيرها. وقبل ذلك وبعده صفة النبوة والرسالة التي اصطفاه الله بها، وجعله خاتم الأنبياء وسيدهم وإمامهم.

ومنهج الانتقاء في عرض بعض جوانب التاريخ الإسلامي وإهمال أو إغفال غيرها مما قد يكون أهم هو منهج قد دأب عليه كثير من المستشرقين ومن بينهم «سيديو»، فتجدهم ينتقون من حوادث التاريخ الإسلامي ما يؤيد وجهات نظرهم ويتجاهلون غيرها، أو تراهم يركزون على حادثة قد تكون صحيحة تاريخيًّا إلا أن هناك ما هو أهم منها وأجدر بإلقاء الضوء عليه فيهملوه لحاجة في نفوسهم.

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥٩).

الْمَبْحَثُ الثَّانِي:
مُحَمدٌ ﷺ وَالسِّيَاسَةُ وَالزَّعَامَةُ

أولاً: تطلع العرب إلى الوحدة:

بين أيدينا نصوص عديدة تحاول أن تصور لنا أن للعرب تطلعاً قديماً للوحدة، وأنهم كانوا ينتظرون نهوض القومية العربية، وأن النفوس كانت تميل إلى الوحدة، كما أنها تبين لنا عوامل تحفز العرب للوحدة العربية، كما توضح لنا كذلك شروط تلك الوحدة.

ي سقط «سيديو» بعض معالم السياسة المعاصرة على واقع الجزيرة العربية، ومن ما يتعلق بالانقلابات السياسية على الأنظمة الحاكمة فيقول: «كان كل إنسان في جزيرة العرب مستعدًّا لأكبر الانقلابات»[(١)]. ثم يشير إلى أن عرب الجزيرة العربية في الجاهلية كانوا يتطلعون إلى الوحدة ويقول: «وهناك عوامل كثيرة كانت تحفز القوم إلى الوحدة العربية، وهي: اتحاد الأصل، وحدة الطبائع والعادات»[(٢)].

ويؤكد هذه الفكرة بقوله: «وليس من الصعب أن نبصر أن تلك النفوس الفائرة المخاطرة إذا ما توجهت إلى غرض واحد صالت صولة لا تقاوم، وكان

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥٥).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٤٥).

لا بد من توفر شرطين للوصول إلى مثل هذه النتيجة، وهما: وحدة اللغة ووحدة الدين»[١].

ويشير إلى دور اللغة العربية في تطلع العرب إلى النهضة بقوله: «وبينما كانت أقاصيص الشعراء تطبع اللغة العربية بطابع الوحدة، كان ينضج في النفوس ما يؤدي إلى نهوض القومية العربية على أساس متين، فالناس عادوا لا يؤمنون بالأصنام التي قامت عبادتها مقام عبادة الله منذ البداءة، وأخذ الشعور الديني يطفح من كل ناحية»[٢].

وقال: «فإذا ما بدت الوحدة الدينية مفقودة بعد، كانت المعتقدات الدينية تتداعى في كل ناحية»[٣].

وقال: «بينما كانت النفوس تميل إلى الوحدة في الداخل ميلاً عامًّا كان استقلال العرب يتم بفضل ما يقع بين الروم والفرس من حروب طاحنة»[٤].

وقال: «فالعرب كانوا يشعرون بضرورة الاتحاد، وكان من نتائج الحوادث الأخيرة أن أخذت المبادئ القومية تنمو فيهم إلى أبعد حد»[٥].

المناقشة العلمية:

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٤٦).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٤٩).

(٣) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥٦).

(٤) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥٦).

(٥) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥٥).

خلاصة النصوص السابقة: أن النفوس في الجزيرة العربية كانت متهيأة للوحدة ومتطلعة للنهضة القومية، والناظر في المصادر التاريخية المختلفة يكاد لا يجد ما يدعم هذه الفكرة التي يحاول «سيديو» بثها لقراءه من خلال تكرارها في عدد من النصوص.

ولنا أن نتساءل لماذا يحاول «سيديو» إثبات هذا الرأي في ثنايا بحثه؟ إن «سيديو» يحاول أن يلبس أحداث السيرة النبوية والفترة التي تسبقها مباشرة بمصطلحات معاصرة وبمفاهيم حديثة غريبة على تلك الحقبة من الزمن، فالقومية العربية فكرة حديثة نشأت إبان سقوط الخلافة العثمانية، وهي صنيعة الاحتلال ولا علاقة لها بأحداث السيرة النبوية، ولا غرابة أن يجد دعاة القومية العربية في هذا الموقف من «سيديو» التأييد لهم في مَبْدَإِهم، إذ وجدوا من يرجع لهم أساس الفكرة إلى ما قبل الإسلام.

و«سيديو» عندما يقول بأن النفوس كانت متهيأة للوحدة فإننا نفهم أنها لو لم تجتمع على محمد ﷺ لأمكن لها أن تجتمع على غيره، وهو بذلك يحاول أن يسلب صفة النبوة من نبينا محمد ﷺ ويلبسه صفة الحاكم أو رئيس الدولة أو طالب الحكم.

أمر آخر، إن «سيديو» عندما يجتهد في جمع ذلك العدد من النصوص والاستشهادات لإقرار ذلك الرأي؛ فإنه يحاول أن يمهد الطريق لبث شبهة أخرى، وبهذه الطريقة تكون الشبهة أدعى للقبول والثبات عند القارئ، وهذه

الشبهة هي: وصفه للرسول ﷺ بالزعيم السياسي الباحث عن المجد والزعامة، وهي الشبهة الاستشراقية التي سيتم عرضها ومناقشتها.

ثانيا: محمد ﷺ والسياسة والزعامة:

وبعد أن مهد «سيديو» لفكرة تطلع العرب إلى الوحدة وتشوفهم إلى القومية العربية، يطرح بعد ذلك فرية تطلع النبي ﷺ إلى السلطة والزعامة السياسية فيقول: «واجتهد محمد ليكون محترماً لدى من يحيطون به كأحسن ناصح وأليق زعيم»(١).

ثم يؤكد فرية تطلعه ﷺ إلى الزعامة بصيغة أخرى فيقول: «وكانت مقادير وطنه تضطرب بنفسه فيود لو يهب له قوة وعظمة»(٢).

ويعيد ترداد الفكرة بقوله: «وهو إذا كان يتمنى لوطنه نظاماً غير الذي يحيق به كان يسأل في نفسه: كيف يستطيع أن ينقذ النفوس مما هي غائصة فيه من الهمجية»(٣).

وفي السياق ذاته يذكر رغبته ﷺ في إقامة دين وطني فيقول: «فكان يجب أن يؤثر في قريش ومكة إذا ما أريد إقامة دين وطني واحد في جزيرة العرب، فهذا ما أدركه محمد تماماً»(٤).

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥٨).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥٩).

(٣) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥٩).

(٤) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥١).

ويقول كذلك: «فهو قد أبصر حلول الزمن الذي يجمع فيه مختلف قبائل جزيرة العرب في أمة واحدة، وذلك ضمن شريعة دينية مدنية حربية»[١].

ويقول أيضاً: «ويجمع في يديه أمور السلطتين الدينية والمدنية، وهو لم يترك فرصة من غير أن يعلن عظمة مصيره»[٢].

مما سبق من نصوص يحاول «سيديو» أن يصف لنا الرسول ﷺ بأنه طالب للملك، باحث عن الزعامة والمجد، لا يتورع في سلوك أي طريق يوصله إلى غايته السياسية.

ويكفي ردًّا عليه الحوار الذي دار بين عتبة بن ربيعة ورسول الله ﷺ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولينظر ماذا يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: يا أبا الوليد، فأتاه عتبة، فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ، ثم قال أنت خير أم عبد المطلب فسكت رسول الله ﷺ، فقال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٤).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٠).

في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل إن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجنك عشراً، فقال رسول الله ﷺ: «فرغت؟» قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ حتى بلغ: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴾ {فصلت: ١-١٣}، فقال عتبة: حسبك، حسبك، ما عندك غير هذا؟ قال: «**لا**». فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا قد كلمته، قالوا: فهل أجابك؟ قال: نعم. ثم قال: لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه قال أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قالوا: ويلك! يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال! قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة.

وفي رواية البيهقي: فإن كنت إنما بك الرئاسة، عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت. وفيها أيضاً أن عتبة لما قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ **فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ** ﴾ {فصلت: ١٣} قال: فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب[1].

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده: رقم: (١١٢٣)، (١/٣٣٧)، والبهقي في دلائل النبوة: جماع أبواب المبعث، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز...، (١/٢٠٢-٢٠٤)، كما

ولا ننسى في هذا الخصوص مقولته عليه الصلاة والسلام لعمه أبي طالب عندما ظن أنه سيسلمه لقريش ويتخلى عنه، حيث قال: «**يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر**[١] **حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته**»[٢].

فهل يصح بعد هذا أن يوصف الرسول ﷺ بأنه طالب ملك ذو طموحات سياسية؟.

أورده ابن هشام في السيرة: ص: (٦٣-٦٤)، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية، ص: (١٥٩-١٦١).

(١) الأمر هو دين الله الإسلام وليس كما وصفه سيديو طلب الزعامة والملك.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، (٢٨٥/١).

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ:
عَلاَقَتُهُ ﷺ بِأَصْحَابِهِ

علاقة النبي ﷺ بأصحابه رضوان الله عليهم علاقة قائمة على الحب والإجلال من قبل الصحابة لنبيهم الكريم، والرحمة والشفقة والرفق من قبل النبي ﷺ. فقد كان عليه الصلاة والسلام أشفق عليهم من الوالد، وأحنى عليهم من الوالدة.

إلا أن «سيديو» يصور العلاقة بين النبي ﷺ وأصحابه على خلاف الحقيقة، إذ يرى أن الصحابة كانوا في بطالة، وأن النبي ﷺ أراد إشغالهم بالجهاد.

ومن جهة أخرى يشير إلى عدم احترام الصحابة له عليه الصلاة والسلام، ويورد حادثة يزعم أنها تؤكد ما ذهب إليه

يقول «سيديو»: «قضى محمد عاماً بين تلك التجاريب، فلما انقضى أدرك أن دينه ينهار إذا ما تبددت حرارة أصحابه بسبب البطالة، وكانت الحرب أفضل وسيلة لإمداد نار الحماسة التي أوقدها»[1]. ويقول أيضا: «وكان أصحابه يطيعونه بخضوع واحترام من غير أن يكونوا أداة صماء بيده، ودليل ذلك ما رواه أبو الفداء الذي هو أفضل مترجميه عما حدث قبيل وفاته، فقد

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٦٥-٦٦).

كان المرض الذي يقوده إلى القبر بالغاً دوره الأخير، فصرخ قائلاً: ايتوني بدواة وصحيفة أكتب كتابا لا تضلوا بعده أبدا، فيتردد الحضور ولا يبدون حراكاً بدلاً من إجابته إلى طلبه، فلما شاهد محمد سوء إطاعتهم أمرهم بالانصراف راجعاً عما اعتزمه، فمن كان من أولئك يفكر في رد طلبه لو رأى سلطان النبي إلهيًّا في الحقيقة؟ وهل كان أولئك يمنعونه من تدوين وصيته؟ كلا»[1].

في هذين القولين لسيديو العديد من الشبهات وما يهمنا منها هو ما يتعلق بموقفه من العلاقة بين الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، وما عداه سوف نرجئه إلى مباحث قادمة من هذا البحث إن شاء الله.

المناقشة العلمية:

في عبارته الأولى: يقول: «أدرك أن دينه ينهار إذا ما تبددت حرارة أصحابه بسبب البطالة...». ولنا أن نتساءل: أي بطالة تلك التي يتحدث عنها «سيديو» في ذلك العصر الأول من عهد الرسالة؟ إن «سيديو» هنا يسقط الرؤية العقلية المعاصرة على أحداث السيرة النبوية، وهذا خلل منهجي، يقول عنه عماد الدين خليل: «هو أشبه بالحتمية التي لا فكاك منها للبحث الغربي، وهو القاسم المشترك الأعظم لجل الأبحاث والدراسات التي قدموها عن سيرة الرسول ﷺ»[2].

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٥-٧٦).

(٢) عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية، ص: (٦٦).

وفي عبارته الثانية يزعم أن الصحابة كانوا يطيعون الرسول ﷺ ولكنها ليست طاعة كاملة «وكان أصحابه يطيعونه بخضوع واحترام دون أن يكونوا أداة صماء بيده»[١]. ثم يأتي «سيديو» بنص حديث: «**ايتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبدا**»[٢] كشاهد يزعم فيه سوء طاعة الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله ﷺ إذ يقول:

«فيتردد الحضور ولا يبدون حراكاً بدلاً من إجابته إلى طلبه، فلما شاهد محمد سوء إطاعتهم أمرهم بالانصراف»[٣].

«سيديو» لا يستشهد بهذا النص على سوء طاعة الصحابة لرسول الله ﷺ -حسب زعمه-، بل يتخذه دليلاً لرد نبوة محمد ﷺ بالكلية، فهو يقول: «فمن كان من أولئك يفكر في رد طلبه لو رأى سلطان النبي إلهيا في الحقيقة؟ وهل كان أولئك يمنعونه من تدوين وصيته؟ كلا»[٤].

فأما عن طاعة الصحابة لرسول الله ﷺ وحبهم له فقد ملأت مواقفهم كتب الحديث والسير والتاريخ الإسلامي، وإن المقام ليضيق لو أردنا أن نستعرض تلك المواقف، ولكننا نكتفي بمثالين منها.

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٦).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٦).

(٣) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٦).

(٤) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٦).

فهذا خبيب رضي الله قدمه المشركون في مكة ليقتلوه، فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب نادوه وناشدوه: أتحب محمدا مكانك؟ فقال: لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه. ثم قتلوه ﷺ شهيدا(١).

وهذا عروة بن مسعود الثقفي في صلح الحديبية أرسلته قريش لمفاوضة الرسول ﷺ فتحدث معه ثم قام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه ،لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم، وما يحدون النظر إليه تعظيما له، فرجع عروة إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء، فروا فيه رأيكم(٢).

أما عن نص الحديث الذي استشهد به سيديو فإن له روايات عدة، منها ما رواه عبد الله، عباس رضي الله عنهما بقوله: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: «**ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا من بعده**» قال عمر رضي الله عنه: إن النبي ﷺ قد غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط،

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: رقم: (٥٢٨٤)، (٢٩٥/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رقم: (١٠٣٣٩). (٢٠١/٦): فيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم: (١٨٩١٠)، (٢١٢/٣١-٢٢٠).

قال: «**قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع**»، فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه[١].

ومنها ما رواه سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بل دمعه الحصى، فقلت يا ابن عباس، وما يوم الخميس؟ قال : اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فقال: «**ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي**»، فتنازعوا، وما ينبغي عند نبي تنازع، وقالوا: ماشأنه أهجر؟ استفهموه، فقال: «**دعوني فالذي أنا فيه خير، أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**» قال: وسكت عن الثالثة، أو قالها فأنسيتها[٢].

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النبي ﷺ: «**هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده**»، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: «**قوموا**»، قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم: (١١٤)، (١/٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد، رقم: (٢٨٨٨)، (٣/١١١١)، ومسلم في صحيحه: كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، رقم: (١٦٣٧)، (٣/١٢٥٧) واللفظ له.

الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم[١].

وقد علق الحافظ ابن حجر رحمه الله على هذا الحديث بقوله: «غلبه الوجع: أي فيشق عليه إملاء الكتاب أو مباشرة الكتابة، وكأن عمر رضي الله عنه فهم من ذلك أنه يقتضي التطويل، قال القرطبي وغيره: ائتوني أمر، وكان حق المأمور أن يبادر للامتثال، لكن ظهر لعمر رضي الله عنه مع طائفة أنه ليس على الوجوب وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح، فكرهوا أن يكلفوه من ذلك ما يشق عليه في ذلك الحال مع استحضارهم قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ {الأنعام: ٣٨}.

وقوله تعالى: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ {النحل: ٨٩}، ولهذا قال عمر حسبنا كتاب الله... ودل أمره لهم بالقيام على أن أمره الأول كان على الاختيار، ولهذا عاش ﷺ بعد ذلك أياماً ولم يعاود أمرهم بذلك، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم، لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف...

قال القرطبي: واختلافهم في ذلك كاختلافهم في قوله لهم: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**»... فما عنف أحداً منهم من أجل الاجتهاد والمسوغ والمقصد الصالح»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم: (٤١٦٩)، (١٦١٢/٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، رقم: (١٦٣٧). (١٢٥٩/٣).

(٢) ابن حجر: فتح الباري، (٢٠٨/١-٢٠٩).

وقال المازري: «إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره لهم بذلك لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب، فكأنما ظهرت منه قرينة دلت على أن الأمر ليس على التحتيم بل على الاختيار، فاختلف اجتهادهم، وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن بأنه ﷺ قال ذلك عن غير قصد جازم».

وقال النووي: «اتفق قول العلماء على أن قول عمر: حسبنا كتاب الله، من قوة فقهه ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب أمورا ربما عجزوا عنها فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة، وأراد أن لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء .. ويحتمل أن يكون قصد التخفيف عن رسول الله ﷺ لما رأى ما هو فيه من شدة الكرب»[1].

مما سبق يتبين لنا أن استشهاد «سيديو» بالحديث السابق كان في غير مكانه، كما أن استنتاجاته على عدم إلهية الرسالة التي جاء بها الرسول ﷺ وعلى سوء العلاقة بين الرسول ﷺ وأصحابه استنتاجات غير صحيحة.

(١) المصدر السابق، (٨/١٣٣-١٣٤).

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: عَلاَقَتُهُ ﷺ بِالْيَهُودِ

يظهر «سيديو» في مواقف عدة من كتابه تصوير علاقة النبي ﷺ باليهود بأنها قائمة على الجور والظلم والعدوان من قبل النبي ﷺ، فهو يقول: «ومما حدث أن هاجم محمد بني قينقاع وأن طردهم من أرض المدينة بعد أن أخضعهم وغنم أموالهم، ومما حدث أن كان نصيب بني النضير مثل نصيب بني قينقاع، فوزعت أموالهم بين مهاجري مكة وفق رغبة الأنصار، فراع اليهود هذان المثلان وما كان من قتل متعصبي المسلمين لأعداء النبي اليهود بين أهلهم، فتحالفت القبائل اليهودية الأخرى لمقاومة هذا العدو الراغب في إهلاكها على انفراد»[١] وعن غزوة خيبر يقول: «وسار إلى يهود خيبر الذين كانوا سادة مركز مهم، فيجتذبون إليهم معظم تجارة الحجاز ونجد... ويسفر استيلاء المسلمين على الحصون ذات الكنوز عن تقويض سلطان اليهود السياسي إلى الأبد.. فوجب عليهم أن يقروا بسيادة محمد بعد الآن إن لم يقروا برسالته، وهو الذي أخذ مما غنم منهم ما أراد تركه لآله من الميراث»[٢].

المناقشة العلمية:

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٦٨).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٦٩).

يعتمد «سيديو» هنا على منهج الانتقاء في عرض الحوادث التاريخية، وهو منهج يعتني باختيار الحادثة التاريخية وعرضها أو جزء منها بصورة تخدم رأي المستشرق، فهو يعرض لنا أن النبي ﷺ قد هاجم بني قينقاع وطردهم ولا يذكر لنا الأسباب، وهي غدر اليهود وخيانتهم للمواثيق والعهود التي أعطوها لرسول الله ﷺ، ويهمل حادثة المرأة المسلمة التي كشف اليهود عورتها، وقتلوا أحد المسلمين الذي حاول الدفاع عن عرضها[١]، وعندما قال لهم الرسول ﷺ: «**يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا**» قالوا : يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا[٢]. إن «سيديو» يغفل ذلك كله ولا يهتم إلا بتصوير المسلمين في صورة المهاجمين المعتدين، وإظهار اليهود في موضع المعتدى عليه مع جهل أو تجاهل تام لغدرهم وخيانتهم ونقضهم للعهود والمواثيق، وكذلك الحال بالنسبة ليهود بني النضير والذين حاولوا قتل رسول الله ﷺ بإلقاء صخرة عليه فأنقذه الله منهم[٣]، وكان هذا سبب إجلاءهم من المدينة، لا يذكر «سيديو» شيئاً عن ذلك، وهو لا يختار من هذه الحادثة إلا قضية الإجلاء وغنيمة أموالهم.

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، (٣/٥١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، رقم: ٣٠٠١)، (٣/١٥٤)، وقد ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود: رقم)٥٢٤)، (٢/٤٣٠).

(٣)ابن هشام: السيرة النبوية، (٣/١٩٩).

إن بني يهود سجلهم مليء بالحقد والخيانة والكيد لهذا الدين منذ أن علموا بظهور هذا النبي ﷺ، وأنه من العرب وليس منهم، فقد كانوا يتهددون قبل بعثة النبي ﷺ يقولون: هذا زمان ظهور نبي سنتبعه ونقتلكم قتل عاد وإرم، وفيهم أنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ {البقرة: ٨٩}. فهذا الشاعر اليهودي كعب بن الأشرف، كان يهجو النبي ﷺ وأصحابه، ويحرض عليهم ويؤذيهم، وقد اغتاظ وبكى من انتصار النبي ﷺ والمسلمين على قريش وحرض قريشا عليهم(١).

ولا يخفى كذلك دورهم ومساعيهم في تحريض الأحزاب وتأليب قبائل العرب للقضاء على دولة الإسلام في المدينة وحرب رسول الله ﷺ، حيث قالوا لهم: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله(٢).

وبلغ حقد اليهود وكراهيتهم للإسلام مبلغاً عظيماً فحينما سألت قريش اليهودَ أيهما أفضل دينهم أم دين محمد؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه(٣)، فأنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) محمد عزه دروزه: (موقف اليهود من الإسلام والمسلمين) حضارة الإسلام عدد ٤ جمادى الثاني ١٣٨٨هـ أيلول ١٩٦٨م، وابن هشام: السيرة النبوية، ص: (٥١).

(٢) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (السيرة) ص: (٢٨١)، وأصله في ابن هشام: السيرة النبوية، (٢/٢١٤).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٨١)، وأصله في ابن هشام: السيرة النبوية، (٢/٢١٤).

سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ {النساء: ٥١ – ٥٢}.

كما أن المدقق في الاقتباسات السابقة يلاحظ إبراز سيديو لدور الغنائم في حياة الرسول ﷺ وأصحابه، فعن بني قينقاع يقول: «بعد أن أخضعهم وغنم أموالهم»[١] وعن بني النضير قوله: «فوزعت أموالهم بين مهاجري مكة»[٢] وعن يهود خيبر يقول: «الذين كانوا سادة مركز مهم فيجتذبون إليهم معظم تجارة يهود ونجد»[٣] إلى أن يختم بقوله: «الذي أخذ مما غنم منهم ما أراد تركه لآله من الميراث»[٤]. ولعله يريد إبراز الجانب المادي في انتشار الإسلام، وهو أمر يكرره المستشرقون كثيراً إذ يزعمون أن أحد أهم أسباب انتشار الإسلام زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين أثناء الفتوحات الإسلامية هو سبب المال والحرص على الدنيا والجانب المادي، وهي مزاعم يدحضها الواقع.

وكعادته لا يقدم «سيديو» دليلاً أو مرجعاً على ما يقول، ولنا أن نتساءل عن مقدار تلك التركة المدعاة التي خلفها رسول الله ﷺ لآله من الميراث على حد زعم «سيديو».

ولعله كان يقصد ما أفاء الله على رسوله من فدك وخيبر، ويرد على ذلك بالحديث الصحيح الذي ترويه السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها: إن فاطمة بنت

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٦٨).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٦٨).

(٣) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٦٨).

(٤) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٦٩).

رسول الله ﷺ ورضي عنها أرسلت إلى أبي بكر رضي الله عنه تسأله ميراثها من رسول الله مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال**»، وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله عن حالتها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا(١).

قال ابن حجر رحمه الله في الحديث: «وتوجيهه أن من للتبعيض والتقدير إنما يأكل آل محمد بعض هذا المال يعني بقدر حاجتهم وبقيته للمصالح»(٢).

يقول ابن كثير: «بيان أن النبي ﷺ لم يترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً ولا شيئاً يورث عنه، بل أرضاً جعلها كلها صدقة لله عز وجل، فإن الدنيا بحذافيرها كانت أحقر عنده —كما هي عند الله– من أن يسعى لها أو يتركها بعده ميراثا»(٣).

وروى البخاري عن عمرو بن الحارث أخي جويرية، قال: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة، إلا بغلته البيضاء التي كان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب فرض الخمس، رقم: (٢٩٢٦)، (٣/١١٢٦)، ومسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركناه فهو صدقة، رقم: (١٧٥٩)، (٣/١٣٨٠). وهذا لفظه.

(٢) ابن حجر: فتح الباري، (١٢/٧).

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، (٨/١٧٩).

يركبها، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة»[١] وقالت عائشة رضي الله عنها: «توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير»[٢].

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله أن فيه الإشارة إلى أن ذلك من آخر أحواله، وهو يناسب حديث عمرو بن الحارث في أنه لم يترك ديناراً ولا درهماً[٣].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ: وصية الرجل مكتوبة عنده، رقم: (٢٥٨٨)، (٣/١٠٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ...، رقم: (٤١٩٢)، (٤/١٦١٩).

(٣) ابن حجر: فتح الباري، (٨/١٥١).

الْفَصْلُ الثَّانِي:

رُؤْيَةُ «سيديو» لِمَوْقِفِ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْعَقَائِدِ

(عَرْضٌ وَمَناقَشَةٌ).

وَفِيهِ ثَلاثَةُ مَبَاحِث:

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: تَأَثُّرُ النَّبِيِّ ﷺ –حَسَبَ زَعْمِهِ– بِالْمُعْتَقَدَاتِ الْقَدِيمَةِ كَالْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَعَادَاتِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهَا.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: مَزَاعِمُهُ حَوْلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: زَعْمُهُ أَنَّ الْإِسْلاَمَ مِن صُنْعِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ:
تَأَثُّرُ النَّبِيِّ ﷺ –حَسَبَ زَعْمِهِ– بِالْمُعْتَقَدَاتِ الْقَدِيمَةِ كَالْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَعَادَاتِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهَا.

سبقت الإشارة إلى أن هذا التصور وهو إرجاع نبوة رسول الله ﷺ إلى أصول يهودية ونصرانية يكاد يأخذ برقاب المستشرقين، ويضع بصماته العميقة على مناهجهم في التعامل مع دقائق السيرة ونبوة رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام.

و«سيديو» يعلن هذه الفكرة صراحة من الصفحات الأولى من كتابه حيث يقول في مقدمة كتابه: «ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد، هو محمد، فقد أُلْهِمَ المبادئ اليهودية والنصرانية، فأقام ديناً بعيداً من الخوارق»[١] ثم يعيد هذه المعلومة في موطن آخر من كتابه زاعماً أن الرسول ﷺ على علم بادياتة اليهودية والنصرانية فيقول: «وهو إذ كان على علم بتعاليم دين اليهود و دين النصارى»[٢]. ثم يعيد تكرار الفكرة في صفحات تالية من كتابه مشيراً إلى رغبته ﷺ في قبول أهل الكتاب له، فأعلن صحة كتبهم، كما أن رفض قبول التثليث لأنه لم يصل إليه علمه فيقول: «ويود محمد أن يكون على وئام هو

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (١٣).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥٩).

والنصارى واليهود، فيعلن صحة كتبهم المنزلة، ويذهب إلى أن كتابه جاء متما لما تقدمه، غير أنه يرفض سر الثالوث الذي لم ينفذ إليه كما يظهر»[١] «وأن النصارى واليهود على حق مادامت التوراة والإنجيل من الكتب المنزلة، فيكفي أن يعترفوا بأن القرآن جاء متمماً لها»[٢].

ثم يكرر الفكرة مرات أخرى، فتارة يشير إلى تأثير النصرانية في الإسلام يقول: «ونحن حين نقدر القرآن نقول: إن محمداً لم يبتغ في تأليفه أن يمنح البشرية أدبا أفضل مما في الإنجيل»[٣]، وتارة يلمح إلى أخذه العلم من علماء النصارى، حيث أشار إلى ذلك عند الحديث عن سفر الرسول للشام يقول: «فبلغ بصرى فاجتمع فيها ببحيرا .. فنال حظوة عنده»[٤].

وحول تأثير اليهودية في الإسلام -كما يدعى- يقول: «ولم يبد اليهود عطفاً إليه، فكانوا يزعمون أن الدين الجديد وأن إله الإسلام ليس سوى يهواهم»[٥].

نكتفي بهذه الاستشهادات التي تبين موقف «سيديو» حيال هذه القضية ولن نستطرد أكثر من ذلك، ويكفي أن نعلم أن «سيديو» قد كرر هذه الفكرة في كتابه في أكثر من عشرين موضعاً.

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٧).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٨).

(٣) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (١٠٣).

(٤) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥٨).

(٥) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٦٨).

المناقشة العلمية:

هذه الادعاءات ليست جديدة فهو كغيره من المستشرقين يردد أقوال المشركين في مكة واليهود في المدينة .

قال تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ {الفرقان: ٥}.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ {النحل: ١٠٣}.

و «سيديو» حسب منهجه في إلقاء الشبهات وعدم تقديم ما يسندها من الأدلة لا يقدم لنا هنا أي دليل على موقفه وزعمه هذا، فهو لا يبين لنا كيف كان هذا الإلهام المزعوم، و لنا أن نتساءل متى وكيف كان رسول الله ﷺ على علم بتعاليم دين اليهود ودين النصارى؟.

إن الذي يريد أن يصنع ديناً مستقى من دينين آخرين لابد أن يكون على علم تام بتلك الديانتين، ولا يصل المرء إلى تلك الدرجة من العلم إلا بعد سنين طويلة من الدراسة و التحصيل، فهل تهيأ شيء من ذلك أو بعضه لرسول الله ﷺ؟ لا شيء على الإطلاق؟. بل على عكس ذلك تماماً، فقد كان رسول الله ﷺ لا يقرأ ولا يكتب كما أخبر عنه ربه جل في علاه بقوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ {العنكبوت: ٤٨}.

وأما عن صلة الرسول ﷺ ببحيرا الراهب والحظوة التي نالها عنده فلا يعقل أبدا أن يلم صبي في سني عمره الأولى[١] بعلم يستعصي فهم تعقيداته وغموضه على كثير من رجال الديانتين اليهودية والنصرانية.

ثم إن قصة بحيرا الراهب هي حجة على المستشرقين لا لهم، لأنها تذكر شهادة الراهب بنبوة الرسول ﷺ، يقول ابن كثير: «فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديدا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها من صفته ... فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده ... فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال: ما هذا الغلام منك؟ فال: ابني، قال بحيرى: ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهودا فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّهُ شرًّا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم»[٢].

إن «سيديو» قد وضع الفكرة في ذهنه مسبقاً، وأخذ يبحث عما يدعمها من الأدلة مهما كان الدليل بعيداً عن موضع الاستدلال، فهو لا يؤمن بنبوة محمد ﷺ، ولذا تراه مضطرباً إلى حد التناقض في تقديم شبهته، فتارة يقول بأن القرآن من تأليف محمد ﷺ، وتارة يقول بأنه عليه الصلاة والسلام قد أُلْهِمَ

(١) قيل إن عمره آنذاك ٩ سنين وقيل :١٢سنة. انظر ابن هشام: السيرة النبوية، (١٩١/١).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، (١٩١/١) وكذلك ابن كثير: السيرة النبوية، (٢٤٥/١).

الديانة اليهودية والنصرانية، ومرة ينص على علمه بالديانتين، وتارة يقول بإعلان الرسول لصحة كتب أهل الكتاب، بل إنه يذهب على أبعد من ذلك، فهو يزعُمُ تأثير الفرس والهندوس والمجوس في الإسلام إذ يقول: «ولنقل إن محمداً لم يرجع إلى خياله وحده في رسم جنته، فهو استعار أكثر ألواحه من الفرس واليهود والهندوس»[(١)]. ويقول أيضا: «وليس إبليس المسلمين الذي هو زعيم العفاريت غير شيطان اليهود وأهرمن[(٢)] المجوس»[(٣)].

ثم إن في القرآن آيات لا توافق عقيدة النصارى، وآيات توضح نفسية اليهود الخبيثة، فكيف يكتبها من تأثر بتلك الديانتين؟ يقول الحق تبارك وتعالى في حق النصارى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ {النساء: ١٧١}. وفي موطن بين كفر من ادعى ألوهية عيسى عليه السلام فسبحانه: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ {المائدة: ٧٢}.

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٨٣).

(٢) هو أحد إلهي المجوس، وهو إله الشر. انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، (٢٣٢/١)

(٣) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٩).

ويقول في حق يهود: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾{المائدة: ٦٤}. ويقول أيضاً: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ {الجمعة: ٥}.

وهذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة لفرح بها كفار قريش وقاموا لها وقعدوا، لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله ﷺ وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأية وسيلة، ولكنهم كانوا أكرم على أنفسهم من هؤلاء الملاحدة، فحين أرادوا طعنه بأنه تعلم القرآن من غيره لم يفكروا أن يقولوا إنه تعلم من بحيرا الراهب أو من اليهود كما قال هؤلاء، لأن العقل لا يصدق ذلك، والهزل لا يسعه، بل لجأوا إلى رجل في نسبة الأستاذية إليه شيء من الطرافة والهزل، حتى إذا مجت العقول نسبة الأستاذية إليه لاستحالتها قبلتها النفوس لهزلها وطرافتها، فقالوا: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ {النحل: ١٠٣}، وأرادوا بالبشر حداداً روميًّا منهمكاً بين مطرقته وسندانه[1].

والسؤال الذي نقدمه لسيديو ولغيره من المستشرقين هو: لماذا لا يكون الإسلام دينا أصيلاً مأخوذاً مباشرة من نفس النبع الذي أخذت عنه الديانات السماوية قبل أن تتدخل أيدي البشر لتحريفها؟ لماذا لا يكون الإسلام هو الحلقة الأخيرة من حلقات الوحي الإلهي الذي أقام الاتصال بين السماء

(١) محمد سرور بن زين العابدين: دراسات في السيرة، ص: (١٦٦-١٦٧).

والأرض على مدى التاريخ البشري؟ هل مبدأ جواز الاتصال بين السماء والأرض عن طريق الوحي مبدأ مسلم به أم لا؟ إنه إذا كان هذا المبدأ مسلماً به فلا معنى لأن تحتكره اليهودية والنصرانية وتمنعه عن الإسلام، وإذا لم يكن – في عرفهم– مبدأ مسلماً به فلا مجال للديانات جميعا[١].

دعواه تأثر الإسلام بالعادات الجاهلية:

ولا يكتفي «سيديو» بما سبق من شهادة ودعوى عقيمة، بل يستمر في شططه محاولا إثبات نظرية تأثير العادات والتقاليد العربية في الإسلام إذ يقول: «ولا يجد محمد في أي من المعتقدات التي تساور النفوس ما يروي غليل أولئك القوم الذين ملئوا أوهاماً وأضاليل، ويختار من تلك المعتقدات الكثيرة بلباقة ما يلائم عقول العرب»[٢].

ويقول أيضا: «وما كان في غنى عن النظم الشائعة ببلاد العرب، فكانت ضرورية لتحقيق خططه»[٣].

ويقول أيضا: «ومحمد حين يقول بمبدأ القصاص ... يكون قد ساير أحكام زمانه»[٤].

المناقشة العلمية:

---

(١) محمود حمدي زقزوق: الإسلام في تصورات الغرب، ص: (١٧٢).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٤).

(٣) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٩٠).

(٤)سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٨٨).

وللرد على هذه الافتراءات نقول: إن الإسلام قد نقد كثيرا من عادات العرب وتقاليدهم وعقائدهم الوثنية، فكيف يأخذ منها ثم ينقدها؟.

قال الله تعالى ناقداً شركهم: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ {الأنعام: ١٠٠}، وقال: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ {البقرة: ١٠٥}، وقال ناقداً لبعض عاداتهم الجاهلية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ {الأنعام: ١٣٧}.

ولقد كانت الحياة في جزيرة العرب وقت ظهور الإسلام تعمها الخرافات والضلالات والجاهلية الظلماء، فجاء الإسلام مصححاً لتلك الأوضاع ناقداً لها ومؤكدا على بعض الجوانب الإيجابية القليلة التي لا زال المجتمع متمسكاً بها كالكرم والشجاعة وغيرها.

وعموماً فهناك إصرار من جانب أغلب المستشرقين على أن الإسلام دين بشري، ومن هذا المنطلق يحاولون جاهدين البحث عن جذور هذا الدين في الديانات القديمة السماوية والوثنية، وقد أعماهم هذا الافتراض الباطل عن إدراك جوهر الإسلام وفهم رسالته، فراحوا يتخبطون في أحكامهم عليه وعلى نبيه ﷺ.

«ويوم تزول الغشاوة عن الأعين ويتجهون إلى بحث الإسلام وهم ينشدون الحقيقة المجردة غير مثقلين بأفكار مسبقة أو أحقاد صليبية قديمة كانت أم حديثة، عندئذ فقط سيكون من السهل عليهم التوصل إلى رؤية حقيقة الإسلام الناصعة وهو أنه دين الله»[١].

(١) محمود حمدي زقزوق: الإسلام في تصورات الغرب، ص: (٣٠).

الْمَبْحَثُ الثَّانِي:
مَزَاعِمُهُ حَوْلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الزعم بالمصدر غير الإلهي للقرآن الكريم من أهم الموضوعات التي اعتنى بها المستشرقون، وفي سبيل تأكيد هذا الزعم الخاطئ قالوا بتأثر القرآن الكريم بالديانتين اليهودية والنصرانية، كما قالوا بتأثير العادات الجاهلية في الجزيرة العربية، وأشاروا إلى وجود تناقض في القرآن –بزعمهم– وهو لا يصدر إلا من بشر، فالمصدر الإلهي لا بد وأن يكون خالياً من أي تناقض علمي، وغير ذلك من المزاعم.

و«سيديو» كذلك سار على نهج من سبقه، فركز تركيزاً أكبر على القول ببشرية القرآن، وأنه من مصدر ليس بسماوي ولا رباني، بل هو من تأليف الإنسان، وساق عدداً من النصوص خلاصتها: أن القرآن من تأليف رسولنا الكريم ﷺ إذ يقول: «والقرآن مؤلف من قطع متفرقة قدمت إلى المؤمنين على أنها منزلة –من الله–، فلم تخل من متناقضات بحكم الطبيعة لملاءمتها الأحوال كوصية قيصر»[١] ويقول: «لقد بينا الصفات العامة التي تجعل من القرآن كتاباً مبتكراً»[٢]. ويقول أيضاً: «وللنبي نصائح غالية في سورة النور»[٣] ويقول أيضاً:

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٧).
(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (١٠٣).
(٣) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٩٨).

«ويزين المسلمين جدر مساجدهم وأعلامهم ومبانيهم بالآيات، فتذكرهم هذه الآيات التي أملتها عوامل الأخلاق الخالصة تقريباً بما هو واجب عليهم نحو الله»[١].

ويصف «سيديو» القرآن الكريم بأنه من تأليف محمد ﷺ وأنه خاص بالعرب، ويحدد رسالة القرآن من وجهة نظره فيقول: «ونحن حين نقدر القرآن نقول: إن محمداً لم يبتغ في تأليفه أن يمنح البشرية أدباً أفضل مما في الإنجيل، أو أن يفرض دستوراً واحداً على جميع أمم الشرق، أو أن يحصر الشعور الديني في حدود أبدية لا تتبدل، وإنما أراد أن يربط جميع قبائل جزيرة العرب بقاعدة مشتركة وأن يوحدها تحت لواء واحد»، ويؤكد هاتين الفكرتين مرة أخرى فيقول: «والحق أنك لا تجد ما في القرآن... ما هو غير منسجم مع ميول الأمة العربية... فيجب أن يصل... إلى النتيجة التي أعد لها»[٢].

وعن أسباب تأخر المسلمين يقول: «ولكن هذا الشعب (العربي) أخطأ كثيراً إذ حرم نفسه حق تحويله (أي القرآن) مع مقتضيات الزمن، فكان ذلك سر تأخره بعد حين...». ويؤكد فكرة محدودية رسالة الإسلام التي جاء بها رسولنا الكريم ﷺ، وأنها للعرب خاصة وليست للعالمين إذ يقول: «وما كانت نتائج تطبيق القرآن على

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٥).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (١٠٤).

مختلف الشعوب على وجه مؤلم لتظهر إلا بعد زمن طويل، وما كان محمد ليبصر ذلك»[1].

المناقشة العلمية:

تأتي هذه الشبهة على رأس الشبهات التي يحاول المستشرقون إثباتها بشتى الوسائل، ولقد أدى جهل معظم الغربيين بالإسلام ونبيه ﷺ إلى أن يجهلوا بالقرآن الكريم، ومن أسباب هذا الجهل والذي حال دون تعرفهم على الإسلام: الحالة النفسية التي واجهت بها أوروبا الإسلام من خوف وذعر وعدم الأمان من جانب الإسلام، كما أن أوروبا كانت تعيش تحت وطأة رجال الدين الذين عزلوا الغربيين عن العلم، ولذلك عندما ترجم القرآن لم يتمكن أوربيو تلك الفترة من الاطلاع عليه ولا التعرف على مضمونه. يضاف إلى ذلك السيطرة المادية على الغربيين والمتركزة في إيمانهم بالمحسوس فقط وإنكار كل ما يتعلق بالغيب والروح.

و«سيديو» هنا يحاول جاهداً إفهامنا زعمه أن القرآن ما هو إلا عمل مبتكر من تأليف محمد ﷺ، وإننا إذ لا نلزم المستشرق أن يؤمن بما نؤمن به إلا أن البحث العلمي النزيه يحتم على الباحث المنصف أن يقدم بين يدي آراءه أدلة علمية واضحة تبرهن صحة ما يقول، وأن لا يدع مجالاً للتعصب الأعمى أو العداء العرقي أو القناعات السابقة أن تؤثر في سير ونتائج البحث.

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (١٠٤-١٠٥).

وللرد على ما تقدم من مفتريات يمكن القول بأن أسلوب القرآن يخالف مخالفة تامة أسلوب كلام نبينا محمد ﷺ، ويستحيل أن يكون القرآن من وضعه والحديث من وضعه ولا يكون تشابه ولو في بعض الآيات والأحاديث على الأقل.

ثم إن رسول الله ﷺ أمي لم يدرس ولم يتعلم، فهل يعقل أنه أتى بهذا الإعجاز التشريعي المتكامل دون أي تناقض؟ وهل يتأتى له أن يكون القرآن بإعجازه اللغوي الفريد وإعجازه التشريعي المتكامل من عنده؟ إن نظرة القرآن الكاملة الشاملة لو كانت من صنع نبينا محمد ﷺ لما كان بشراً، إن هذه التنظيمات وهذه التشريعات تعجز عن القيام بها لجان كثيرة لها ثقافات وتخصص عميق، فرجل أيا كانت عبقريته ليعجز عن أن يأتي بتنظيم في مسألة واحدة، فما بالك بكلها مع تنوعها وتلون اتجاهاتها.

ولقد أخبر القرآن عن أمور غيبية ما لبثت أن تحققت، فقد وعد الله سبحانه وتعالى نبيه بالنصر والتمكين في الأرض فقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ {الصف: ٩}، وتحقق وعده سبحانه بظهور الروم على الفرس.

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِى بِضۡعِ سِنِينَ ﴾ {الروم: ١ – ٤}.

كما تحقق وعد الله لنبيه ﷺ بفتح مكة.

قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ {الفتح: ٢٧}.

ثم إن في القرآن إعجاز علمي في الكون والحياة، فهل يعقل أن هذا النبي الأمي ﷺ الذي نشأ في بيئة جاهلية يكون قد ألفه؟ فكيف عرف عليه الصلاة والسلام أن كمية الهواء في الأجزاء العليا تقل إلى درجة أن الإنسان يضيق صدره فيها؟ وكيف أدرك أن الشمس والقمر يسبحان في هذا الفضاء؟ وغير ذلك.

كما أن في القرآن عتاب ولوم لمحمد ﷺ في مواضع عديدة.

قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ {عبس: ١ – ٢}، وقال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ {التوبة: ٤٣}.

وقال أيضاً: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ {الأحزاب: ٣٧}، فهل يؤلف محمد ﷺ كتاباً يريد به الرفعة ثم يوجّه العتاب فيه إلى نفسه في مواطن عديدة؟

ولقد كانت تنزل به ﷺ نوازل وأحداث من شأنها أن تحفزه إلى القول، وكانت حاجته القصوى تلح عليه –كما في حادثة الإفك– فلو كان الأمر إليه لأورد مقالاً، ولكن كانت تمضي الليالي ولا يجد في شأنها قرآناً يقرؤه على الناس كما في حادثة الإفك.

ولو كان القرآن من عند محمد ﷺ لما رفع قدر المسيح أو موسى إلى منزلة عالية، بل لكان أقل ما يجب هو الصمت عن معجزات موسى وعيسى وغيرهما كي لا يضع في يد الخصم سلاحاً ماضياً»[١].

ويتساءل المستشرق «إيتين دينيه» .DINET,ET كما أورد ذلك عماد الدين خليل قائلا: «أهذه الآيات الخارقة تأتي من محمد ﷺ ذلك الأمي الذي لم ينل حظًّا في المعرفة؟ كلا إن هذا القرآن لمستحيل أن يصدر من محمد، وأنه لا مناص من الاعتراف بأن الله العلي القدير هو الذي أملى تلك الآيات البينات»[٢].

وتضيف الأمريكية «ديبورابوتر» D.POTTER[٣] قائلة: «كيف استطاع محمد ﷺ الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم والتي لازال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لابد من أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل»[٤].

ويقول المستشرق «هنري دي كاستري»: «إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز

---

(١) عبد المتعال الجبري: السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص: (٦٠).

(٢) عماد الدين خليل: ماذا قالوا عن الإسلام، ص: (٦٤).

(٣) ديبورابوتر: باحثة أمريكية ولدت عام (١٩٥٤) في ولاية متشيغان الأمريكية. تخرجت من فرع الصحافة بجامعة متشيغان، اعتنقت الإسلام عام (١٩٨٠) بعد زواجها من أحد الدعاة المسلمين بأمريكا، (عماد الدين خليل: ماذا قالوا عن الإسلام، ص: (١٣٣).

(٤) المصدر السابق، ص: (٥٥).

فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى، آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار في جمالها، وكفى رقي عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها، وفاضت عين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلى عليه جعفر بن أبي طالب سورة مريم... ولكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته الأفكار ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا... »[1].

وحول اعتقاده بأن سبب تأخر المسلمين هو تمسكهم بالقرآن نقول: إن لتأخر المسلمين أسباباً كثيرة، أهمها هو: ابتعاد كثير من المسلمين عن القرآن شريعة ومنهاجاً، ولن تصلح الأمة إلا بما صلح به سلفها في القرون الأولى، واليوم الذي تعود الأمة فيه إلى كتاب ربها وسنة نبيها تعود إليها مكانتها وصدارتها في قيادة البشرية.

(١) المصدر السابق، ص: (٦١-٦٢).

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ:
زَعْمُهُ أَنَّ الْإِسْلاَمَ مِن صُنْعِ مُحَمَّدٍ ﷺ

كثيراً ما تركزت شبهات المستشرقين في نبوة الرسول ﷺ والوحي، وهي أخطر شبهاتهم، إذ يُشَرِّقُ المستشرقون ويُغَرِّبُون في تفسيرهم و تحليلهم لنبوته ﷺ.

ويذهب «سيديو» –كما ذهبوا– إلى أن الإسلام من عند الرسول ﷺ، وأنه عليه الصلاة والسلام قد عزم على إقامة دين جديد على أنقاض الدين القديم .

كما أنه يفسر نبوته ﷺ على حد زعمه بأنها إحساس داخلي نضج فأفصح عنه بالنبوة، ولن أستطرد في ذكر جميع أقواله بهذا الخصوص، بل سأختار منها ما أظن أنه يوضح رأيه في هذه القضية بصراحة.

يقول «سيديو»: «وهو راغب في إقامة دينه الجديد إقامة متينة على أنقاض الدين القديم»[١]، ويقول: «عزم على إقامة دين جديد»[٢]، ويقول: «فكان يجب أن يؤثر في قريش ومكة إذا ما أريد إقامة دين وطني واحد في جزيرة العرب، فهذا ما أدركه محمد تماماً»[٣]، ويقول: «ومحمد الذي كان منظر

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧١).
(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥٩).
(٣) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٥١).

الطبيعة غذاء لعقله فعرف أن يسمو به إلى خالقه، شعر في نفسه ذات الحس الديني بضرورة الإفصاح عما نضج في فؤاده من الفكر...فيجب على من يبتغي إبداع دين أن يبدع»[١]، ويقول: «وكان يقول إن رسولاً من السماء يأتي إليه بأوامر الله تعالى، ومن الواضح أن يكون خيال في وجده»[٢]، ويقول: «فترى إذن أن كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله تعبر عما كان يدور في خلد النبي محمد»[٣]، ويقول: «ويعجبون من صلاته بالملك جبريل، ويتلقون آي القرآن التي أراد محمد نشرها ليوفق في عمله على أنها من مصدر إلهي، ويسمى محمد دينه الجديد بالإسلام... ويصرح ورقة بن نوفل... بأن محمداً نبي العرب»[٤].

المناقشة العلمية:

مما سبق يتبين أن «سيديو» يرفض نبوة الرسول ﷺ ولا يؤمن بها، ونحن لا نلزمه أن يؤمن بما نؤمن به ولكن عليه في مضمار البحث العلمي أن يثبت بالأدلة ما يرفضه.

ولأن «سيديو» كثيراً ما يلجأ في شبهاته إلى الافتراضات والتخمينات والتحليلات التي لا تستند إلى دليل، كان من الطبيعي أن ينتهي إلى تلك النتائج الخاطئة.

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٩٠).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٥).

(٣) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٧٨).

(٤) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٦٠).

فسيديو يدعي أن نبوة الرسول ﷺ فكرة نضجت في نفس الرسول ﷺ وإحساس في نفسه، ويدعي أن الملك جبريل عليه السلام لم ينزل على الرسول ﷺ، ويفسر ذلك بأنه خيال في وجده.

كيف يمكن لسيديو إثبات أن النبوة فكرة نضجت في نفس الرسول ﷺ أو أنها إحساس نفسي؟ وعلى أي برهان أقام إنكاره أن الرسول ﷺ لم ير جبريل وأن جبريل عليه السلام لم يبلغه ما أوحاه الله إليه؟

ولم يكتف «سيديو» بتحليل تصرفات الرسول ﷺ وسلوكه الشخصي الظاهر، بل تعداه إلى تحليل ما هو غير منظور، تعداه إلى تحليل نفسيته وأفكاره عليه الصلاة والسلام.

فإذا كان الوحي تطوراً داخليًّا فكيف علم به المستشرق؟ وكيف تيقن أن الرسول ﷺ قد سمع ما يوهمه أنه مؤسسُ دولة ومشرع لها؟ ولنا أن نطالب المستشرق «سيديو» بأدلة علمية على ادعاءاته، فإن لم يمكن إثبات ذلك علميًّا وهو لن يتمكن منه المستشرق، فإن هذه الادعاءات تظل محض خيال وتخرصات ونتيجة الهوى الذي من خلاله يصل «سيديو» وغيره إلى ما يريد إثباته.

إن «سيديو» —كغيره من جمهور المستشرقين— ينكر أن يكون الرسول ﷺ نبي موحى إليه من عند الله جل شأنه، ويتخبط في تفسير مظاهر الوحي، فمرة يرجعها إلى تخيلات وأحاديث نفسية كانت تملأ ذهن النبي ﷺ، ومرة يفسرها بأنها رغبة في إقامة دين على أنقاض آخر.

ويصف هذه الرغبة على أنها دين وطني، وهكذا كأن الله لم يرسل نبيًّا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي.

إن مسألة نزول الوحي على نبينا محمد ﷺ مسألة يكاد يرفضها جل المستشرقين، وهنا يبرز تساؤل: إن العقلية الغربية تقبل نزول الوحي بالشريعتين والديانتين اليهودية والنصرانية على موسى وعيسى عليهما السلام، وإذا كان ذلك متاحاً وممكناً فلماذا لا يكون مقبولاً أن يكون رسول الله ﷺ هو حالة أخرى من نزول الوحي، إلا أنها أعظم حالاته في الرسالة الخاتمة، وهي النزول الأخير، إذ لا رسالة بعده ولا وحي بعده؟.

ومع كل ما ذكر، فهناك حالات نادرة من الغربيين اعترفت بنزول الوحي على رسولنا الكريم ﷺ، وكمثال على ذلك: يقول «لايتنر» LIGHTNER[1]: «بقدر ما أعرف من دين اليهود والنصارى أقول: بأن ما عمله محمد ﷺ ليس اقتباساً بل لقد (أوحى إليه ربه)، ولا ريب في ذلك طالما نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز عليم»[2].

إن دعوى النبوة أمر جلل، وهي تمس أخص حالات الإنسان النفسية والعقلية، والنجاح فيها لا يكفي فيه الدليل القاطع فحسب، ولكنه يجب أن يصحبه سمو خلقي عظيم، وتأثير روحاني كبير، وليس في تاريخ العالم من

---

(١) لايتنر: باحث إنجليزي حصل على أكثر من شهادة دكتوراة في الشريعة والفلسفة والاهوت وزار الأستانة عام ١٨٥٤م، كما طوف بعدد من البلاد الإسلامية (عماد الدين خليل: ماذا قالوا عن الإسلام ص: (١٣٣).

(٢) عماد الدين خليل: ماذا قالوا عن الإسلام، ص: (١٣٤).

الناحية الدينية ما يشبه النجاح الباهر الذي أصابه محمد ﷺ عقب دعواه النبوة، «ماذا تطلب من الأدلة على صدق من يدعي لك أنه بناء أكثر من يبني لك صرحاً يبقى أكثر من ألف وأربعمائة عام، ويؤوي أكثر من مليار ونصف مليار نسمة»[١].

(١) ينظر: محمد فريد وجدي: (شبهات داحضة وحملة فاشلة) نور الإسلام، العدد: (٨)، شعبان ١٣٥٥هـ.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

رُؤْيَةُ «سيديو» لِمَوْقِفِ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ التَّشْرِيعِ الإِسْلاَمِيِّ (عَرْضٌ وَمُنَاقَشَةٌ).

وَفِيهِ مَبْحَثَانِ:

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: مَوْقِفُهُ مِن مَفْهُومِ الْجِهَادِ وَأَسْبَابُهِ عِندَ الرَّسُولِ ﷺ.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: مَوْقِفُهُ مِن بَعْضِ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلاَتِ.

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ:
مَوْقِفُهُ مِن مَفْهُومِ الْجِهَادِ وَأَسْبَابُهِ عِندَ الرَّسُولِ ﷺ

يرى «سيديو» أن فرض الجهاد على المسلمين إنما كان بغرض إلهائهم وشغلاً لأوقات فراغهم، ودفعاً لبطالة صاروا إليها –كما يزعم–، ويُلمح بطرف خفي إلى التفسير المادي للفتوحات الإسلامية، كما يذهب إلى أن الإسلام قد انتشر بالسيف.

فهو يزعم أن الجهاد قد فرض لمعالجة البطالة بين الصحابة، وفي ذات السياق يتهم النبي ﷺ بالانتقام من كفار قريش جراء عداوتهم له، وإخراجهم إياه من مكة، إذ يقول: «أدرك أن دينه –أي الإسلام– ينهار إذا ما تبددت حرارة أصحابه بسبب البطالة، وكانت الحرب أفضل وسيلة لإمداد نار الحماسة التي أوقدها .. وللنبي أن ينتقم من أعدائه جزاء ما وجهوه إليه من الشتائم بمكة، وأن يطالب قريشاً بحساب عن نفيه، وأن يستغل ما بين المدينة ومكة من التنافس التجاري بمهارة فائقة»[(١)].

وفي موطن آخر يقول بشبهة انتشار الإسلام بالسيف فيقول بعد أن ذكر بعض آيات الجهاد: «وكانت غاية محمد من ذلك القول إثارة حمية العرب الحربية، وكان محمد يعد السلاح أفضل وسيلة للدعوة، فأصبح لزاماً عليه أن

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٦٥–٦٦).

يستغل روح الحرب في القبائل التي كانت تقتتل لا ريب، لو لم يسلطها على الأجنبي، وكان محمد يعد عدوًّا لبلاده بدلاً من أن يعد محسناً لها لو لم يفعل هذا، وكان محمد مضطرًّا إذن أن يحرك حمية العرب الحربية في سبيل دينه»[١]، ويزعم في موطن آخر السبب المادي للغزوات في عهد النبي ﷺ إذ يقول عن الغنائم: «وكان من نتائج نظام الغنائم تغذية للروح الحربية، وكانت أربعة أخماس الغنائم تعطي للجيش، وكان الخمس يوزع بين أكثر الناس سلما على وجه يفيد الجهاد»[٢].

وأما على من يجب الجهاد فيقول «سيديو»: «ولا يعفى من الجهاد غير الصبيان والمجانين والحمقى، ويجب على الأشخاص الآخرين من أحرار وموالي ورجال ونساء وأصحاء ومرضى وعميان وكسحان أن يدافعوا جهد الاستطاعة، وأن يقاوم كل واحد منهم العدو حتى النهاية»[٣].

المناقشة العلمية:

لقد مكث رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو إلى الله صابراً على أذى المشركين، وأعداء الله يتناولون المسلمين فيسومونهم سوء العذاب، ويفتكون بهم قتلاً وضرباً وتعذيباً لا لسبب وإنما لأنهم آمنوا بالله ورسوله، واستمرت هذه الحال إلى أن هاجر الرسول ﷺ وأصحابه وكونوا الدولة الإسلامية الجديدة في ربوع المدينة المنورة،

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (١٠١).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (١٠٣).

(٣) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (١٠١).

بعد أن لاقوا أصناف العذاب، ونُهبت أموالهم وأرزاقهم، وأخرجوا من ديارهم كرهاً وعدواناً.

وهذه المرحلة وظروفها يتجاهلها «سيديو» ويكاد لا يذكر عنها شيئا سوى النزر اليسير مع بالغ أهميتها عند الحديث عن الجهاد في الإسلام، لأنها تمثل إحدى مراحله، متبعاً في ذلك منهج الانتقاء في اختيار الأحداث التي يستطيع من خلالها بث شبهاته.

ولنا أن نلقي نظرة سريعة على أهم الغزوات في حياته ﷺ لنرى عن قرب أسباب تلك المعارك والتي كان المسلمون في موقف الدفاع في أغلبها، ففي بدر لم يتمكن المسلمون من إدراك القافلة ولكنهم أُخبروا بأن قريشاً قد خرجت لملاقاتهم، ومن ثم فرضت عليهم المواجهة والقتال[١] وإن كان الباعث الحقيقي لغزوة بدر هو الدفاع والمواجهة المفروضة من قبل الأعداء، فإننا نجد أن حروب الرسول الأخرى كلها كانت ذات طابع دفاعي محض، ولم يكن الرسول ﷺ ولا أصحابه معتدين أبداً، ولا ذوي ميول لسفك الدماء والقتل كما يزعم المستشرقون، فغزوة بني قينقاع كانت نتيجة نقض اليهود للعهد الذي أبرموه مع الرسول ﷺ، وذلك بمكاتبتهم للمشركين وتحالفهم معهم وتأليبهم لهم ضد المسلمين[٢]، وكانت غزوة أحد ردًّا لقريش التي خرجت زاحفة على المسلمين تريد أن تثأر لهزيمتها في بدر[٣].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، (٢٦٦/١-٢٦٧).

(٢) المصدر السابق، (٥١/٣).

(٣) المصدر السابق، (٦٤/٣).

وكانت غزوة الخندق مثالاً واضحاً للدفاع عن الأهل والمال والوطن، وكان حصار بني قريظة بعد غزوة الخندق وقتلهم نتيجة نقضهم وتحالفهم مع الأحزاب ضد المسلمين[1]، ثم يأتي فتح مكة الذي كان نتيجة اعتداء بني بكر وقريش على خزاعة حليفة المسلمين، وبعد ذلك كانت حرب هوازن بسبب استعداد هوازن لحرب المسلمين وجمعهم الجموع لذلك بعد سماعهم بفتح مكة، وكانت غزوة مؤتة بسبب اعتداء عرب غسان الخاضعين للروم مرتين على أصحاب الرسول ﷺ، وكانت غزوة تبوك كذلك دفاعاً عن النفس، وذلك أن هرقل لما سمع بانتصارات المسلمين وأنهم أصبحوا شوكة في الجزيرة العربية جمع جيشاً على حدود الشام واستعد لغزو الجزيرة، ولما سمع الرسول ﷺ بذلك لم يكن أمامه خيار إلا الاستعداد للمواجهة وبذلك وقعت غزوة تبوك.

وهكذا كان الجهاد إذا في حياة الرسول ﷺ دفاعاً عن النفس وصوناً للعقيدة وإفساحاً للطرق أمامها، ولم يكن أبداً لدفع البطالة التي صار إليها الصحابة، ولم يكن الهدف منه مكاسب اقتصادية وثروات مسلوبة كما يحاول «سيديو» أن يلمح إليها، وإذا قيست معارك المسلمين بكل المقاييس والموازين العسكرية فإن النتيجة ستكون مذهلة، وذلك أن المسلمين لم يدخلوا معركة متكافئة أبداً لا عدداً ولا عدة، ومع ذلك كان النصر حليفهم دائماً، وهو الشيء التي تعهد الله به: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ {الحج: ٣٩}.

وهذا يؤكد حقيقتين هامتين:

---

(١) المصدر السابق، (٢٣٢/٣).

الأولى: هي أن الفتوحات الإسلامية دليل قطعي من أدلة صحة الرسالة الإسلامية وصدق نبيها، وإلا فما هو السر وراء انتصار القلة على الكثرة، والضعف العسكري على القوة المدججة بأجود أنواع السلاح؟ ليس وراء هذا الأمر شيء سوى أن الإسلام دين إلهي.

الثانية: هي أن المسلمين الذين آمنوا بهذه الرسالة وصدقوا نبيها تمكنت العقيدة في قلوبهم وسيطر على شعورهم وتفكيرهم، وصغرت الدنيا في نفوسهم، وأحبوا الموت على الحياة[1].

إن هذه الانتصارات العسكرية العظيمة قد أذهلت أعداء الإسلام، وأجبرتهم على التفكير في أسلوب آخر لمواجهته، ولم يكن أمامهم سوى المواجهة الفكرية التي تعتمد السب والشتم وإلصاق التهم وقلب الحقائق، وكان الاستشراق بطل هذه المواجهة، وكان الجهاد المجال الخصب الذي يمكن من خلاله تنفير غير المسلمين من الإسلام، وتشكيك المسلمين في دينهم وتاريخهم وحضارتهم، وذلك عن طريق وصف الإسلام بأنه دين حرب يمقت السلام، ويدعو إلى سفك الدماء ووصف الرسول ﷺ على -حد زعمهم- بأنه يقود جيوشه لفرض دعوته بالقوة، ويرسل أتباعه لقهر الشعوب وحملهم على الإيمان به وسلب ثرواتهم.

إن الإسلام هو دين السلام، وبنظرة سريعة إلى بعض الآيات في القرآن الكريم نجدها تحث على السلام والابتعاد عن الحرب كلما سنحت لذلك فرصة، قال

---

(١) ينظر: محمد فتح الله الزيادي: (الجهاد في حياة الرسول ﷺ) ندوة السيرة النبوية، ص: (٢٧-٢٨).

تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ {الأنفال: ٦١}، ويقول أيضا: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ {النساء: ٩٠}.

والإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ {البقرة: ٢٥٦}، ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ {يونس: ٩٩}، ورفض الإسلام كذلك الحروب التي تثيرها أنانية فردية رغبة في رياء أو حمية أو مجد أو شهرة.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(١).

فالقضية إذن ليست كما يدعي «سيديو» إمداداً لنار الحماسة، واستغلالاً لروح الحرب عند القبائل، وتحريكاً لحمية العرب الحربية، بل القضية أكبر من ذلك، إنها قضية الإخلاص لهذا الدين والتفاني في الذود عنه بالغالي والنفيس، مستصغرين النفس والأهل والأموال في سبيل الله، ولكن هيهات أن يدرك مثل هذه المعاني من يضع على عينيه نظارة سوداء ولا يرى الأشياء من خلالها إلا مظلمة في غير صورتها الحقيقية.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، رقم: (٢٦٥٥)، (١٠٣٤/٣)، ومسلم في صحيحه: كتباب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا...، رقم: (١٩٠٤)، (١٥١٢/٣).

ولا يفوتنا الإشارة إلى أنه إذا كان الإسلام يمقت الحروب وأهوالها ويحث على السلام، فإنه يدعو المسلمين إلى خوض غمارها حينما تكون دواء لمرض استعصى علاجه، أو عقبة حالت دون تقدمه، أو فتنة اتسعت رقعتها.

إن الإسلام يدعو إلى الجهاد من أجل أمور أهما ما يلي:

١. دفع الظلم ورد العدوان ونجدة المستضعفين، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ {الحج: ٣٩ – ٤٠}، وقال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ {النساء: ٧٥}.

٢. حماية الدين والتمكين لتوحيد الله في الأرض، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ {البقرة: ١٩٣}.

٣. صد الباغين وناكثي العهود، قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا

﴿ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ {الحجرات: ٩}. وقال سبحانه: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ {التوبة: ١٢}.

إذا لم يكن ما تقدم كافياً في دفع شبهات المستشرقين ومن تابعهم، فأين السيف الذي أجبر أوائل المسلمين وحملهم على نبذ أصنامهم واتباع ما جاء به الرسول ﷺ؟ أين السيف الذي أجبر بلالاً وعماراً وغيرهم من المستضعفين على تحمل ألوان العذاب؟ وأين السيف الذي سلط على أهل المدينة وأجبرهم أن يعرضوا على النبي ﷺ مهمة حماية الرسالة؟ وهي مهمة خطيرة...تكلفهم أرواحهم(١).

وقبل ختم الحديث عن هذا الموضوع في هذا المبحث من المهم الإشارة إلى خطأ وقع فيه «سيديو» حول من يعذرون من الجهاد، إذ قال: «ولا يعفى من الجهاد غير الصبيان والمجانين والحمقى» إلخ(٢).

والله عز وجل يقول في كتابه: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ {الفتح: ١٧}. هذه إشارات خاطفة لدلائل واضحة على بطلان ما يردده الغربيون عن الإسلام، وصدق الله العظيم

---

(١) محمد فتح الله الزيادي: الجهاد في حياة الرسول، ص: (٣٩).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (١٠١).

حين قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ {التوبة: ٣٢}.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي:
مَوْقِفُهُ مِن بَعْضِ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلاَتِ

سيتناول هذا المبحث بعض القضايا الفقهية التي أثارها المستشرق الفرنسي «سيديو»، وسيقتصر الحديث عن ثلاث منها هي: الصلاة – تحريم الخمر – عقوبة السرقة.

أ – الصلاة:

يقول المؤلف: «وإن العودة إلى الصلاة باستمرار أثارت مقاومة كثيرة، فالصلاة إذ كانت أمراً شاقًّا مع أهميتها العظيمة لما يدعى بها المسلم ليل نهار إلى الشعور بدينه، أوجبت تمرداً غير مرة... والصلاة إذ يتصل بها الإنسان بمقام الألوهية المجرد الصارم الذي لا تدركه الحواس دون البال تطبع المسلم بالتعصب الحماسي والزهد القاتم والغرور الديني»(١).

المناقشة العلمية:

يصف لنا سيديو الصلاة بأنها قد أثارت مقاومة كثيرة .. وأوجبت تمرداً عنيفاً غير مرة –على حد تعبيره–، ولا يبين لنا ما هي تلك المقاومة، ولا ذلك التمرد العنيف الذي حصل أكثر من مرة ولا متى حصل، ولا نكاد نجد شيئاً عن تلك الأشياء التي ذكرها إلا في رأس «سيديو» وغيره من المستشرقين.

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٩١).

وبعد أن قال بأهمية الصلاة وربطها المسلم بدينه وبخالقه الذي عبر عنه بمقام الألوهية يصف «سيديو» ذلك المقام بالمجرد الصارم، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً.

ثم يصف لنا آثار الصلاة على المسلم –في رأيه– فزعم أنها تطبع المسلم بالتعصب الحماسي والزهد القاتم والغرور الديني.

ولا ندري أهذا جهل من المؤلف بآثار الصلاة؟ أم تحامل على الإسلام وشعائره؟ أم كلاهما معا؟ ويكفينا قول الله تبارك وتعالى في الصلاة، إذ يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ {العنكبوت: ٤٥}.

فالصلاة تربى النفس البشرية وتهذبها عن طريق تمكين صلتها بخالقها وزرع المراقبة لله، وهي نور لقلب المؤمن وفكره تمده بقوة روحية ونفسية تعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا، وللصلاة فوائد اجتماعية، إذ تقوي روابط المجتمع المسلم، ويحصل في تأديتها جماعة التعارف والتواصل والتعاطف، ويسود الوقار والمحبة بين الصغير والكبير.

وأما حول زعمه بأن الصلاة كانت أمراً شاقًّا فهي على العكس من ذلك تماماً، إذ إن من أبرز محاسن الصلاة في الإسلام سهولتها ويسرها، إذ اقتصر عدد الصلوات المكتوبة على خمس صلوات بعد أن فرضت خمسين صلاة، ومن يسرها أيضاً أن شرع التيمم في حالة تعذر الماء وقصرها وجمعها في حالة السفر.

ب – تحريم الخمر:

يقول «سيديو»: «وما أوتيه محمد من الحكمة حمله على تحريم بعض اللحوم المضرة والسوائل المتخمرة»، ويقول أيضاً: «إن تحريم الخمر أمر فرضه جو جزيرة العرب، وإن محمداً لم يصنع غير إثبات عادة قديمة في تلك الجزيرة، والصعوبة كل الصعوبة كانت في إدخال مبدأ تحريم الخمر إلى الأمم التي أخضعتها الفتوح للإسلام، فعند مثل هذه المعضلات بدت دقائق فقهاء المسلمين فوجد من بينهم من زعم أن النبي حظر الإفراط في شرب الخمر»[1].

المناقشة العلمية:

يحاول «سيديو» من خلال منهج تكرار الفكرة في أكثر من موضع ترسيخ قوله بعدم نبوة محمد ﷺ، إذ يُرجع تحريم الخمر وبعض اللحوم إلى حكمة الرسول ﷺ لا إلى الله سبحانه وتعالى وتشريعه.

وأما زعمه بأن تحريم الخمر أمر قد فرضه جو الجزيرة العربية وأن النبي ﷺ لم يصنع غير إثبات عادة قديمة، فهذا القول يدل على جهل صاحبه بتاريخ وأحوال الجزيرة العربية في ذلك الوقت، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تكرار لمبدأ تأثر الرسول ﷺ بالعادات والقيم القديمة —حسب زعمه.

إن الخمر في جزيرة العرب في بداية الرسالة المحمدية كان أحد عناصر الحياة الذي لا يستغني عنه، ومكون رئيس من مكونات المجتمع الجاهلي في الجزيرة العربية عموماً، وفي مكة خصوصاً، والذي كانت تدور عليه رحى

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٩٥-٩٦).

الجاهلية، وكثيراً ما تغنى الشعراء والجاهليون بالخمر، ولطالما دارت كؤوس الخمر في أندية مكة وبيوتها.

بل إن من أوضح الأدلة على تمكن الخمر من قلوب سكان الجزيرة العربية: أن تحريمها في الإسلام لم يأت مرة واحدة بل جاء متدرجاً مراعياً لتلك الظروف.

فإن الناس كانوا يشربون الخمر حتى هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، فكثر سؤال المسلمين عنها وعن لعب الميسر لما كانوا يرونه من شرورهما ومفاسدهما، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ {البقرة: ٢١٩}.

ثم نزل بعد ذلك تحريم الخمر إذا كان وقت الصلاة قريباً بحيث لا يزول تأثيرها قبل الصلاة، تدرجاً مع الناس الذين ألفوها وعدوها جزءاً من حياتهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ {النساء: ٤٣}.

ثم نزل حكم الله بتحريمها نهائيًّا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ {المائدة: ٩٠}.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء، فنزلت الآية التي في البقرة ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ {البقرة: ٢١٩}، قال: فدعي

عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء، فنزلت الآية التي في النساء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ {النساء: ٤٣}، فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقيمت الصلاة ينادي: «**ألا لا يقربن الصلاة سكران**»، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء، فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ: ﴿ **فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ {المائدة: ٩١}، {فهل أنتم منتهون} [المائدة: ٩١] قال عمر رضي الله غنه: انتهينا[(١)].

وأما قوله: أنه وجد من فقهاء المسلمين من زعم أن النبي ﷺ حظر الإفراط في شرب الخمر، فهذا محض افتراء، والآية السابقة دليل على ذلك، وفي الحديث الصحيح عن أبي سلمة عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «**كل شراب أسكر فهو حرام**»[(٢)].

ج – عقوبة السرقة:

يصف «سيديو» عقوبة السرقة بأنها (مفرطة).

---

(١) أخرجه أبو دااود في سننه: كتاب الإشربة، باب في تحريم الخمر، رقم: (٣٨٧٠)، (٣/٣٢٥)، والترمذي في جامعه: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، رقم: (٣٠٤٩)، (٥/١٠٣)، والنسائي في سننه: كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، رقم: (٥٥٤٠)، (٨/٢٨٦)، وأحمد في مسنده: رقم: (٣٧٨)، (١/٤٤٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم: (٣٦٧٠)، (٢/٤١٥–٤١٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأشربة، باب باب الخمر من العسل وهو البتع، رقم: (٥٢٦٣)، (٥/٢١٢١)، ومسلم في صحيحه: كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر...، رقم: (٢٠٠١)، (٣/١٥٨٥).

إذ يقول: «وقد تبدو عقوبة السرقة مفرطة، فكانت تقطع أيدي السارقين، وكانت تقطع أيدي قطاع الطرق وأرجلهم من خلاف، فوجد فقهاء المسلمين عدة استثناءات لهذا الحكم محاولين تخفيف قسوته، فمحمد أراد أن يلقى الرعب في قلوب من يطمعون في أموال غيرهم»[١].

المناقشة العلمية:

الإفراط في اللغة هو مجاوزة الحد[٢]، وعقوبة السارق في الإسلام لم تجاوز الحد على الإطلاق، بل إنها جاءت ملائمة لطبيعة النفس البشرية، وخالق هذه النفس منزل التشريع سبحانه وتعالى هو أدرى بصلاحها.

إن الغرب ينظر بعين الشفقة والرحمة إلى السارق، و يهمل المجتمع الذي يمكن أن يتحول إلى فئة من السراق لو لم ير تطبيق الجزاء العادل على السارق.

وإن كنا لا نلوم الطبيب الذي يقرر بتر العضو الفاسد من الجسم خشية أن يفسد الجسم كله، فكيف تلام الشريعة وتوصف بالإفراط وهي إنما تهدف لسلامة الفرد والمجتمع، والتضحية بالبعض من أجل الكل كما لا يخفى مما اتفقت عليه الشرائع والعقول.

ثم إن الشرع الحنيف قد ضبط مسألة تطبيق الحد على السارق، إذ ليس كل سرقة يقام عليها الحد، بل لا بد من توفر شروط ثلاثة:

١. أخذ مال الغير.

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٩٩).

(٢) محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص: (٤٩٩)، مادة: (فرط).

٢. أن يكون هذا الأخذ على جهة الاختفاء والاستئثار.

٣. أن يكون المال محرزا[١].

فلو لم يكن المال مملوكاً للغير، أو كان الأخذ مجاهرة، أو كان المال غير محرز، فإن السرقة الموجبة لحد القطع لا تتحقق، ولنا أن نسأل ما هي العقوبة الملائمة الغير مفرطة –في نظر «سيديو» وغيره– للسرقة؟ أهي القوانين الغربية؟ إن العقوبات في القوانين الغربية المعاصرة فشلت فشلاً ذريعاً في حل مشكلة السرقة في المجتمعات الغربية، والسرقة تزداد يوماً بعد يوم، والسجون كذلك يزداد نزلاؤها يوماً بعد يوم .

ولم يعد المرء في تلك المجتمعات يشعر بالأمان، وهي نتائج حتمية لمن لا يرضى بشريعة الله.

(١) سيد سابق: فقه السنة، (٢/٤٨٧).

الْفَصْلُ الرَّابِعُ:

نَقْدُ مَنْهَجِ «سيديو» في دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

وَفِيهِ مَبْحَثَانِ:

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: نَقْدُ الدَّوَافِعِ وَالتَوَجُّهَاتِ وَخَلْفِيَّتِهِ الثَّقَافِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: نَقْدُ الْمَصَادِرِ.

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ:
نَقْدُ الدَّوَافِعِ وَالتَوَجُّهَاتِ وَخَلْفِيَّتِهِ الثَّقَافِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ

سنركز الحديث في هذا المبحث على الخلفية الثقافية للمستشرق «سيديو»، كما سنشير إلى بعض الدوافع والتوجهات التي كان لها تأثير في كتاباته.

فسيديو كما ذكرنا في مقدمة البحث فرنسي الأصل، كان أبوه مستشرقاً وفلكيًّا، ولقد تأثر كثيراً بوالده إلى الحد الذي جعله يواصل أبحاث أبيه في الفلك والرياضيات عند العرب، ولقد كانت جل الأعمال التي نشرها فيما بعد تصب في هذا الموضوع باستثناء كتابه في التاريخ: **تاريخ العرب العام**.

وكما تأثر «سيديو» بأبيه تأثر كذلك بالمستشرق الفرنسي «سلفستر دي ساسي» SILVESTRE DE SACY حيث كان «سيديو» يحضر محاضراته، وقد عينه دي ساسي سكرتيراً لكلية فرنسا ومدرسة اللغات الشرقية[١]، ودي ساسي هذا كان متديناً جدًّا، حيث عهد عنه أنه كان يختم يومه بسماع القداس كل مساء[٢]، لقد كان لهذه النشأة ولهذا الاحتكاك القديم منذ الصغر بالشرق وعلومه ولغاته الأثر البالغ في حياة «سيديو» وتشكل خلفيته الثقافية.

---

(١) **سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٩).**

(٢) **عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: (٢٣٠).**

ولقد أثرت مجريات الأمور السياسية في الفترة التي عاشها «سيديو» في تشكيل بعض الدوافع والتوجهات، حيث عاصر «سيديو» بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر عام ١٨٣٠م، ولا يخفى حقد الاحتلال الفرنسي على الإسلام والمسلمين بشكل عام، وعلى الجزائر على وجه الخصوص.

وهو ما يصوره الدكتور البهي بقوله: «ولكني أعود فأقول: إن المؤلف فرنسي، والفرنسي لا يفهم العربي... هناك ستار من الحقد عند أصحابنا أبناء فرنسا يحول بينهم وبين أن يفهمونا، حقد قديم يرجع إلى الحروب الصليبية، والفرنسيون يعتقدون أنها كانت حربا بين فرنسا والإسلام»[١].

ويضيف قائلا: «وحقد جديد بدأ سنة ١٨٣٠م عندما اعتدى الفرنسيون على الجزائر... حقد على عرب المغرب، لأنهم لم يستسلموا لفرنسا ويقدموا بلادهم هدية لها، وحقد على عرب المشرق لأنهم لم يتركوا إخوانهم لها تفعل بهم ما تريد»[٢].

ويرى الدكتور حسين مؤنس –كما ذكر ذلك نذير حمدان– أن أشد المستشرقين تعصباً ضد الإسلام ورسله هم الفرنسيون، فهو يقول: «إن من النادر أن تقرأ لمستشرق فرنسي شيئاً طيباً عن حياة الرسول ﷺ، لأنه حتى لو وجد شيئاً فإن لسانه لا يطيعه في كتابته، ولو قاله فإنه يتحفظ في قوله تحفظاً بالغاً، حتى يخيل إليك أنه يخشى الوقوع في النار»[٣].

---

(١) البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص: (٥٦٨).

(٢) المصدر السابق، ص: (٥٦٩).

(٣) نذير حمدان، الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ص: (١٥).

نعم لقد كانت نشأة «سيديو» الفرنسية، وثقافته الغربية، وديانته المخالفة للإسلام، والعداء السياسي الديني المتمثل في الحروب الصليبية قديماً، وفي الاحتلال الفرنسي للجزائر حديثاً دور بالغ وتأثير واضح جلي على ما كتبه «سيديو» في السيرة النبوية في كتابه: **تاريخ العرب العام**.

ومن آثار ذلك التأثير، هذا الكم الهائل من الافتراءات والشبهات التي بثَّها «سيديو» في ثنايا بحثه والتي لا تتوافق مع روح البحث العلمي النزيه.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: نَقْدُ الْمَصَادِرِ

سنتطرق في هذا المبحث إلى أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها «سيديو» في كتابه: **تاريخ العرب العام** وسنخص بالذكر منها ما يتعلق بالسيرة النبوية.

وبادئ ذي بدئ نقول: إن «سيديو» لم يذكر لنا أي إحالة أو مصدر واضح استقى منه معلوماته، حيث أهمل ذكر مصادره في هوامش الصفحات وفي ثبت المراجع في نهاية الكتاب.

وكل ما وقف عليه الباحث هو إحالات مقتضبة لبعض المصادر ذكرها «سيديو» في ثنايا بحثه، وبالرجوع إلى تلك الإحالات يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

أ – إحالات عامة إلى العرب:

إذ لا يعين فيها مؤلفاً بعينه وإنما ينسبها بشكل عام للعرب، ومثال ذلك ما ذكر «سيديو» عن أصل العرب إذ يقول: «ويُرجع العرب أصلهم إلى ذرية إبراهيم»[(١)]، وحول بناء الكعبة وقصة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام يقول: «وفي أحاديث العرب غير إشارة إلى العناية السماوية»[(٢)]، وعن الأوضاع

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٣٠).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٣٠).

السياسية قبل الإسلام يقول: «ومما ذكر في أقاصيص العرب وأخبار الروم نبأ ملكتين غسانتين مشهورتين»[١]، ويقول: «وكان لحكم التبابعة أدوار مجيدة، وعنّ لمؤرخي العرب أن يجعلوه نموذجا لكبريات الدول»[٢].

مما سبق من أمثلة نلاحظ أن «سيديو» لم يشر إلى شخص بعينه وإنما عمم الإحالة دون ذكر لمصدرها.

ب – إحالات إلى مؤرخين مسلمين:

أحال «سيديو» إلى بعض المؤرخين المسلمين حيث أورد نصًّا للمسعودي[٣] في وصف الحياة الاقتصادية قبل الإسلام، حيث قال: «قال المسعودي: كان أهل اليمن في أطيب عيش وأرفهه، وأهنأ حال وأرغده» ويورد نقلا عن المقريزي[٤] بقوله: «سوعند المقريزي أن الخط الحميري المعروف بالمسند كان مؤلفا من حروف منفصلة»[٥].

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٣٩).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٤١).

(٣) هو: علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود: مؤرخ، رحالة، بحاثة، من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها. قال الذهبي: «عداده في أهل بغداد، نزل مصر مدة، وكان معتزليا»، له مؤلفات منها: أخبار الخوارج، وأخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وأخبار الأمم من العرب والعجم، وغيرها. انظر: الزركلي: الأعلام، (٢٧٧/٤).

(٤) هو: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي: مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة من بعلبك، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، وله من المؤلفات: السلوك في معرفة دول الملوك، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وشذور العقود في ذكر النقود، وغيرها. انظر: الزركلي: الأعلام، (١٧٧/١).

(٥) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٤٠).

ولا نجد عند «سيديو» أي ذكر أو إحالة إلى المصادر المعتبرة في السيرة النبوية .

ج – إحالات إلى غربيين:

في وصفه للشعوب قبل الإسلام يقول عن الأنباط: «ورجعهم «كاترمير»[١] في مذكرته التي استشهدنا بها إلى أصل آرامي أو سرياني، مدعياً أنهم أتوا من شواطئ دجلة والفرات، وألقى «سيردوروس الصقلي» نوراً على أخلاقهم»[٢].

وعن الحياة السياسية قبل الإسلام يقول: «وزعم المؤرخ سقراط أن مائة ألف عربي هلكوا في الفرات سنة ٤٤٨»[٣] وحول حكم أحد ملوك المناذرة يستشهد بقول «بروكوب» إذ يقول: «قال بروكوب: ظل هذا الملك أشد أعداء الروم إرهاباً مدة تسع وأربعين سنة»[٤].

---

(١) كاترمير: مستشرق فرنسي (١٧٨٢–١٨٥٧) عنى بالتاريخ الإسلامي، اهتم بنشر المخطوطات العربية، وكان يتقن اليونانية وينظم اللغات السامية. من آثاره : نشر القسم الثاني من كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزي نشرة نقدية محققة لمقدمة ابن خلدون في ثلاثة مجلدات. (بدوي ص ٣١١/ العقيقي ١٧١/١).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٣٣–٣٤).

(٣) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٣٨).

(٤) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٣٨).

وحول القرآن يستشهد بقول «مسيو إلسنر» فيقول: «ويجب أن يعترف كما أصاب مسيو إلسنر في قوله بأن محمداً أثبت على منواله خلود الروح، والقليل من الناس من يحيى في ذاكرة الكون»[١].

وحول حجة الوداع يقول: «ومن قصة الحج الذي أتمه النبي سنة ٦٣٢ كما رواها «مسيو كوسان دوبرسفال» نعلم المناسك التي فرضت على المؤمنين»[٢].

هذه هي أهم الإحالات والاستشهادات التي أثبتها «سيديو» بين ثنايا بحثه، وكما يلاحظ أن جل هذه الإحالات تركزت في فترة ما قبل العهد النبوي.

كما يلاحظ أن هذه الإحالات أهملت أو تجاهلت ذكر أي من المصادر في السيرة النبوية عند المسلمين، كما أن عدم ذكر المصادر والمراجع التي استقى المؤلف معلوماته منها، وعدم توثيق النصوص التي يستشهد بها يعد خطأ منهجيًّا يتعارض مع أساسيات منهج البحث العلمي.

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٨١).

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص: (٩٢).

الْخَاتِمَـةُ

وَفِيهَا:

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ.

أَهَمُّ النَّتَائِجِ.

التَّوْصِيَاتُ.

الْخَاتِمَةُ

الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

ملخص البحث:

تناولت الدراسة جوانب السيرة النبوية في كتاب تاريخ العرب العام للمستشرق الفرنسي «سيديو»، وقد تركزت المعالجة في ثلاثة محاور رئيسة:

المحور الأول: ناقشت شخصية الرسول ﷺ عند «سيديو» وأجابت على بعض المزاعم والدعاوى الباطلة المتعلقة بشخصية الرسول ﷺ.

المحور الثاني: ناقشت بعض المزاعم المتعلقة بجانب العقيدة.

المحور الثالث ناقشت المزاعم المتعلقة بالتشريع الإسلامي.

نتائج الدراسة:

يوجد خلل كبير من الناحية المنهجية فيما كتبه «سيديو» عن السيرة النبوية، ويتمثل هذا الخلل في التالي:

أولا: اعتمد «سيديو» كثيراً على وجهات نظر استشراقية سابقة، وكانت هذه الآراء بعيدةً عن الصواب، ولم يرجع إلى المصادر الأصيلة للسيرة النبوية.

ثانيا: لم يكن «سيديو» في كثير من آراءه دقيقاً في عباراته، كما أنه لم يكن دقيقاً في استنتاجاته، وذلك كقوله في حق الرسول ﷺ: إنه سياسي يبحث

عن الزعامة والملك، وكذلك استنتاجه بأن العلاقة بين الرسول ﷺ وأصحابه لم تبن على الطاعة والاحترام.

ثالثا: انعكست في مختلف آراءه نزعته الحاقدة على الإسلام، ومن هذا المنطلق جاءت تشويهاته الكثيرة للسيرة النبوية والدين الإسلامي، ومن أمثلة ذلك: الطعن في شخصية الرسول ﷺ وقذفها بالنقص وعدم الوضوح، وقوله بتأثر الرسول بالديانات الأخرى، وأن القرآن كتاب مبتكر من صنع الرسول ﷺ، وتفسيره للوحي بأنه إحساس ديني نضج في فؤاد الرسول ﷺ.

رابعا: عرض «سيديو» آراءه السابقة في كتابه في صورة المسلمات، وإن كنا لا نلزمه أن يؤمن بما نؤمن به، إلا أن المنهج العلمي يفرض عليه أن يقدم الأدلة العلمية المعتبرة على آراءه تلك، كما يلزمه كذلك بأن يعرض لآراء المسلمين في تلك القضايا مأخوذة من مصادرها الصحيحة.

ولقد أورد المؤلف في الفصول الأخيرة من الكتاب شيئاً من الإطراء والمديح للحضارة العربية وما قدمته في مجال العلوم التجريبية والتطبيقية، إلا أن الباحث لا يوافق رأي مترجم الكتاب: عادل زعيتر عندما وصف الكتاب بأنه خير ما ألف في اللغتين الفرنسية والإنجليزية[1]، فالكتاب وإن أورد شيئاً من الثناء على جهود العرب في مجال العلوم التجريبية إلا أنه في مجال السيرة النبوية – كما رأينا – قد ملئ بالافتراءات والاتهامات والحيد عن جادة الصواب في كثير من المواطن.

---

(١) **سيديو: تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، ص: (٣).**

التوصيات:

أهمية بذل المزيد من الدراسات حول الاستشراق الفرنسي وموقفه من الإسلام والعالم الإسلامي.

فهرس المصادر والمراجع

أَهَمُّ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

- **أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ**: إبراهيم علي شعوط، القاهرة، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**: محمود حمدي زقزوق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**: مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت – دمشق، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- **الاستشراق**: إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة البحوث العربية، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- **أسس ومناهج البحث**: محمد موسى عثمان، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- **الإسلام على مفترق طرق**: محمد أسد، ترجمة: د. عمر فروخ، دار العلم للملايين. بدون تاريخ.
- **الإسلام والعرب**: روم لاندو، ترجمة : منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- **أضواء على الاستشراق والمستشرقين**: محمد أحمد دياب، دار المنان، القاهرة، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

- **افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي**: عبد الكريم علي باز، جدة–تهامة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- **الأعلام**: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**: مالك بن نبي، مكتبة عمار، القاهرة، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتابته، وطباعته، ومناقشته: عبد العزيز الربيعة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- **البداية والنهاية**: الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
- **تاريخ الأمم الملوك**: محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، القاهرة.
- **تاريخ الشعوب الإسلامية**: كارل بروكلمان، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- **تاريخ العرب العام**: سيديو أ. ل. ترجمة: عادل زعيتر، عيسى البابي وشركاؤه، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

- **تاريخ خليفة بن خياط:** خليفة بن خياط، القاهرة، ١٣٦٩هـ / ١٩٦٩م.
- **التاريخ والمؤرخون العرب:** السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- **التفسير الإسلامي للتاريخ:** عماد الدين خليل، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- **جامع الترمذي:** أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: بشار عوادمعروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- **الجامع الصحيح (صحيح البخاري):** الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – اليمامة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- **الجامع الصحيح:** الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.
- **حياة محمد:** أميلى درمنغهم، ترجمة: عادل زعيتر، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- **خلاصة تاريخ العرب:** سيديو أ. ل. ترجمة: علي مبارك باشا، دار الآثار، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- **الخلفية الثقافية لاتجاهات المستشرقين في دراسة شخصية الرسول ﷺ:** «رسالة ماجستير»: مصطفى عمر حلبي، المعهد العالي، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

- **الدعوة الإسلام:** توماس أرنولد، القاهرة، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة:** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- **الرحيق المختوم:** صفي الرحمن المباركفوري، دار القبلة، جدة – مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- **الرسول ﷺ في قلوب أصحابه:** وليد الأعظمي، مطبعة الوطن العربي، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- **الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين:** نذير حمدان، رابطة العالم الإسلامي، مكة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- **رؤية إسلامية للاستشراق:** أحمد عبد الحميد غراب، المنتدى الإسلامي، لندن، ١٤١١هـ / ١٩٩١.
- **سنن ابن ماجه:** أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.
- **سنن أبي داود:** أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، بدون تاريخ.
- **سيرة الرسول ﷺ في تصورات الغربيين:** جوستاف بفاتموللر، ترجمة: محمود حمدي زقزوق، مكتبة ابن تيمية، البحرين، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- **السيرة النبوية وأوهام المستشرقين**: عبد المتعال محمد الجبري، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- **السيرة النبوية**: أبو الحسن على الندوي، دار الشروق، جدة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- **السيرة النبوية**: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، دار القلم، بيروت.
- **السيرة النبوية**: الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- **السيرة النبوية**: الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- **سيرة نبي الهدى والرحمة**: هاشم عبد السلام حافظ، رابطة العالم الإسلامي، مكة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- **صحيح سنن أبي داود**: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩١٩هـ / ١٩٩٨م.
- **صحيح السيرة النبوية**: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمَّان، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- **صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطي**: ريتشارد سوذون، معهد الإنماء العربي، بيروت.

- **صورة الإسلام والمسلمين في كتب التاريخ المدرسية المقررة في الدول الغربية:** جمعية الإسلام والغرب، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- **ضعيف سنن أبي داود:** الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- **العرب في التاريخ:** برنارد لويس، ترجمة : أمين فارس ومحمود يوسف زايد، بيروت، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- **على هامش السيرة:** طه حسين، القاهرة، الطبعة الثانية.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- **فقه السيرة:** محمد الغزالي، عالم المعرفة.
- **في التفسير الإسلامي للتاريخ:** نعمان عبد الرزاق السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- **القرآن، نزوله – تدوينه – ترجمته وتأثيره:** بلاشير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- **قصة الحضارة:** ول ديورانت، ترجمة: زكي بخيت محمود، مطابع الحجزي، القاهرة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

- **الكامل في التاريخ**: الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني، ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦.
- **المجتبى من السنن**: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- **مجموع الفتاوى**: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة دار المعارف، الرياض. بدون تاريخ.
- **محمد في مكة، محمد في المدينة**: منتغمري وات، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصرية، لبنان.
- **مختار الصحاح**: محمد بن أبي بكر الرازي، دار المعارف، القاهرة.
- **المستشرقون والسيرة النبوية (مبحث مقارن)**: عماد الدين خليل، دار الثقافة، الدوحة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠.
- **المستشرقون**: نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

- **المسند:** الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- **مسند عبد بن حميد:** عبد بن حميد بن نصر المروزي، تحقيق: صبحي السامرائي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- **مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه:** سيرة إسماعيل كاشف، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- **المعجم الكبير:** سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- **الملل والنحل:** محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- **المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره:** محمد رشاد خليل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- **منهج البحث التاريخي:** حسن عثمان، دار المعارف، القاهرة، ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م.
- **منهج كتابة التاريخ الإسلامي:** محمد ين صامل السلمي، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- **موسوعة المستشرقين:** عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة:** الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- **نظرات في دراسة السيرة النبوية:** أكرم ضياء العمري، المدينة المنورة، محاضرات الجامعة الإسلامية، ١٣٩٧-١٣٩٨هـ.

الدوريات:

- **الاستشراق ومجافاته لتاريخ الأمة الإسلامية وثقافتها:** أنور الجندي، مجلة المنهل (العدد المتخصص ٤٧١)، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- الإسلام في عيونهم: طه محمد كبسه: المجلة العربية، عدد (٧١)، ذو الحجة ١٤٠٣هـ/ أكتوبر ١٩٨٣م.
- التفسير السكيولوجي لعزلة الرسول قبل البعثة: آتيين دينيه، ترجمة: عبد الحليم محمود، الأزهر، عدد (١)، محرم ١٣٦٦هـ / ١٩٤٦م.
- الخلفية التاريخية للاستشراق ومنهجه في كتابة التاريخ الإسلامي: محمد بركات البيلي، مجلة المنهل، (العدد المتخصص ٤٧١)، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي: سامي الصقار، المنهل، (العدد التخصصي ٤٧١)، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- **ديورانت ونظرته إلى الرسالة المحمدية:** محمد سعد الشويعر، عالم الكتب، المجلد الثالث، عدد (٣)، محرم ١٤٠١هـ / نوفمبر ١٩٨٠م.

- **الرسول ﷺ في نظر الأعداء:** حلمي الخولي، المجلة العربية، عدد (١١٦)، رمضان ١٤٠٧هـ / مايو ١٩٨٧م.
- **الغرب يشرق:** نقولا زيادة، مجلة الفكر العربي، عدد (٣١)، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- **الفتوحات بين دوافعها الإسلامية ودعاوى المستشرقين:** جميل المصري، مجلة المنهل، (العدد المتخصص ٤٧١)، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- **ما يقال عن الإسلام:** أحمد فؤاد الأهواني، الأزهر، عدد (١)، محرم ١٣٨٧هـ / أبريل ١٩٦٧م.
- **محمد ﷺ في تقدير المنصفين من قادة الفكر في أوروبا:** محمد فريد وجدي، نور الإسلام، عدد (٩)، رمضان ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م.
- **محمد المفترى عليه:** رجيه دي باسكيه، حضارة الإسلام، عدد (٤٠)، ذو الحجة ١٣٨٠هـ/ آبار ١٩٦١م.
- **محمد في نظر أهل الغرب:** أحمد حمزة، لواء الإسلام، عدد (٥)، محرم ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.
- **منهجية االاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي:** محمد عبود، مجلة المنهل، (العدد التخصصي ٤٧١)، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- **مؤامرات الاستشراق على الإسلام:** أنور الجندي، منار الإسلام، عدد (٨)، شعبان ١٤٠٩هـ/ مارس ١٩٨٩م.

- **موقف اليهود من الإسلام والمسلمين ونبي الإسلام محمد ﷺ في زمن النبوة الشريفة:** محمد عزة دروزة، مجلة حضارة الإسلام، العدد (٤)، ص ١٢-٢١، جمادى الثاني ١٣٨٨هـ / أيلول ١٩٦٨م.

الْمَصَادِرُ الأَجْنَبِيَّةُ

- THE ARABS IN HISTORY: BERNARD LEWIS, HARPER COLOPHON BOOKS, LONDON, 1967.
- ORIENTALISM, ISLAM AND ISLAMISTS: HUSSAIN ASAF, AMANBOOK, U.S.A, 1984.
- MOHAMMAAD AT MECCA: MONTOMERY WATT, OXFORD UNIVERSITY PRESS, 1979.
- MOHAMMAD AT MADENAH: MONTOMERY WATT, CIVIL & MILITARY PRESS LTD, KARACHI, 1981.
- GENERAL HISTORY OF ARAB, SEDILLOT LOUIS .